

اصول لاتينية ويونانية : أي الى اصول تشابه فيها لغة التعبير واللفظ والكتابة لوجود لحمه من النسب او لوجود وحدة عضوية بينها - اذ هي من ارومة واحدة ؛ فلكذلك اتسامل بيني وبين نفسي عما اذا كان يمكننا ان نفعل شيئا قريبا من هذا باللغة العربية. فهناك وحدة عضوية بين اللغة العربية وبين كثير من اللغات التي تسمى باللغات السامية . فما المانع ان نرجع اليها في وضع مصطلحاتنا ، ولا ضير في ذلك على اللغة العربية في شيء . بل هو مصدر افتناء لها ، كما ان الرجوع الى اللاتينية واليونانية لم يكن ليضير اللغات الاوربية في شيء بل لقد كان مصدر افتناء لها . وحذا لو كنت محيطا ببعض اللغات السامية لاحكم على مدى قابلية اقتراحي للتطبيق . ولكنني وطبعا الامل ان يصل هذا الاقتراح الى آذان الخبراء بالساميات لبيّنوا لنا مدى امكان الاستفادة منه . وعندئذ لا يقال ان لغة الضاد رديئة جدا من حيث التركيب المزجي .

واخيرا لي ماخذ على بعض الترجمات - حتى القيمة منها - وهو خلوها من ذكر المصطلحات العلمية واسماء الاعلام و عناوين الكتب في لغاتها الاصلية . فانا من حيث المبدأ افضل دائما ان اقرا الكتاب في لغته الاصلية لاني لا اتق بكثير من الترجمات . فغلا عن اني اشعر بغربة كبيرة وانا اقرا كتابا مترجما الى العربية . وكثيرا ما لا افهم ما اقرا ولا عنم اقرا . فالترجم حفظه الله كلما وجد مصطلحا علميا ترجمه بما يتراءى له او اثبت اسم صاحبه كما يريد ، وهذا من حقه . الا ان من حق القاريء عليه ان يثبت له المصطلح بلغته الاصلية وكذلك ان يثبت له اسماء الاعلام الى جانب النص العربي ، ليسهل عليه فهم الموضوع . والا ضاعت الفائدة المتوخاة من ترجمة الكتاب . فان كان القاريء خالي الذهن من الموضوع لم يفهم شيئا بطبيعة الحال . وان كان ملمسا به اصطدم بمصطلحات غير واضحة المعنى فاختلف فهمه للموضوع ولعن الترجمة والمترجمين .

والخلاصة ان الترجمة عمل مضمّن . فلا يقدم عليه من ليس اهلا له . فاما الزيد فيذهب جفاء . واما ما ينفع الناس فيمكنك في الارض .

نحن لا ننادي بعدم الاستئناس بالاساليب الغربية ؛ ولكننا نطالب بالحفاظ على خصائص اللغة العربية . فكل هذه الاستعمالات بجانب الدوق العربي والسليقة العربية والاصالة العربية؛ ولقد شاعت في الصحف اولا حيث تترجم برفقيات وكالات الانباء حرفيا طلبا للسرعة ورددتها محطات الاذاعة والتلفزيون . ثم عمّت في الترجمات الرخيصة التي اقتدت بها . فليس لها من العربية الا الالفاظ والحروف . ولكنها غريبة الدم والخير . ان هذه الاستعمالات لا تصدر ولن تصدر عن كاتب عظيم . بل هي لا تصدر الا عن صغار الكتاب والمترجمين . فلم اجد للمازني او العقاد او طه حسين وامثالهم استعمالات ركيكة كهذه . رغم انهم اغنوا الاسلوب العربي كثيرا بالاستعمالات الجديدة دون ان يضحوا بمقرئته واصالته .

ولي ملاحظة احب ان ابديها في هذه المناسبة تتصل بتركيب المصطلح العلمي . فمن المعروف ان اللغة العربية فقيرة جدا في التركيب المزجي . فبينما يستطيع المؤلف في اللغات الاوربية تركيب اي مصطلح بالرجوع الى الاصول اليونانية واللاتينية بمسزج الجذور التي يصل اليها بعضها مع بعض نجد اللغة العربية عاجزة عن ذلك عجزا يكاد يكون تاما . فنرى المؤلف في اللغة العربية اذا اراد التعبير عن مصطلح غربي ما . اما ان يبحث كلمة جديدة قد لا تؤدي المعنى المطلوب فلا يتعقد عليها الاجماع . واما ان يستعمل جملة طويلة للتعبير عن مصطلح علمي واحد . واني في هذا المجال اقتراح لا اعلم مدى قيمته لاني اجهل الكثير من ملبساته . فثمن كانت اللغة العربية فقيرة في التركيب المزجي فهي غنية جدا في الاوزان . حتى اصبحت من هذه الناحية مدعاة اعجاب كثير من المستشرقين . وعلى فرض ان هذه الاوزان لا تكفي فيما يرجع الى اللغات الشرقية التي يطلق عليها احيانا اسم اللغات السامية . فنعل فيها اوزانا ليست في اللغة العربية . ولا يقتصر الامر في نظري على هذا . بل يمكن الاستعانة باللغات السامية من ناحية اخرى . رغم كل ما يقال من ان اللغة العربية اغنى منها جميعا . فكما ان الاوروبيين يرجعون الى

# تطور النهضة الثقافية في الشام والمجمع العلمي اللبناني الأستاذ محمد جميل بيهم

( لبنان )

## الحملة الصليبية

لقد دعا كل من البابا سلفستر الثاني في سنة 393 هـ - 1002 م والبابا غريغوار السابع في عام 468 هـ - 1075 م ملوك أوروبا وأصحاب الأقطاعات لتخليص بيت المقدس . ولكن دموئيهما ذهبتا ادراج الرياح . حتى إذا ما شب الخصام بين الأسرة السلجوقية بعد موت السلطان ملكشاه ونشبت الحروب بينها بعد نحو عشرين سنة من هاتين الدعوتين كانت صرخة ناسك فقير هناك كافية لجمع كلمة الأوربيين من أجل انقاذ قبر المسيح . وقد حملوا على بلاد الشام ثماني حملات كانت اولها في سنة 409 هـ - 1096 م ، والاخيرة في سنة 669 هـ - 1270 م .

وبين هذه وتلك استقر الصليبيون في بلاد الشام مدة طويلة ، وتسلطوا على بيت المقدس الى أن تصدى لهم ، عقب الحملة الصليبية الثالثة ، صلاح الدين الأيوبي سلطان مصر والشام 532 - 589 هـ ، ثم كان المماليك البحرية خلفاء الأيوبيين بمصر سبب صد الحملات الصليبية الاخرى عن مصر ، واخراجها من كافة بلاد الشام .

غير أن هذه البلاد ظلت نحو جيلين دار حرب تكسد فيها سوق العلم والادب ، ولولا الحاجة الماسة الى العلوم الدينية لانصرف الناس عنها ايضا . هذا فعلا من كون أكثر بيوت العلم قد اقلت في تلك الحقبة وان المكتبات قد احرقت بفعل تلك الحروب . وحسبنا ان نذكر أن مكتبة طرابلس التي احرقت في عهد الصليبيين ، او احرقوها ، كانت على ما قيل تحفل

كثيرا ما لاحظت ان الباحثين في موضوع تاريخ الثقافة العربية يغفلون عن ذكر المجمع العلمي اللبناني ويعود ذلك الى قلة السنين التي قضاها ، والى تقصيرنا ، نحن اللبنانيين ، في تدوين اعماله . وهي اعمال غير قليلة بالنسبة لعمره .

وقد رايت ان اتلاني هذا التقصير على ان اتخذ هذه المناسبة فرصة لعرض ناحية مهمة في تاريخنا ، وأعني بها ناحية تطور نهضتنا الثقافية في بلاد الشام على مر العصور حتى الآن وذلك بصورة موجزة تتناول الخطوط الكبرى بحسب رابطة الاسباب بالمسببات .

## العالم العربي خلال ثلاثة قرون

لما وضعت كتابي « العرب والتراك في صراع بين الشرق والغرب » الذي صدر سنة 1957 جعلت هذا العنوان عنوانا للفصل الثالث منه . حيث بينت بالادلة ان القرون الثلاثة التي تبدأ بمطلع القرن الثامن الميلادي وتنتهي بختام القرن العاشر كانت قرونا ذات طابع عربي في العالم ، سواء اكان ذلك في النواحي السياسية والتجارية والصناعية ام في النواحي الصناعية والزراعية والثقافية ، وانها كانت كلها تقتبس من معين الحضارة العربية . ثم جعلت عنوان الفصل الرابع « ايام من سادوا وشادوا وبنوا » ذلك الفصل الذي تناول انهيار العرب ، وتغلب الاجاجم عليهم الى ان استأثر بالحكم آل عثمان . وليس المجال هنا فسحا للتبسط في جميع اطراف هذا الموضوع ، وانما اكتفي بالناحية الثقافية منه ، وبالخطوط البارزة من هذه الناحية فقط ، وذلك نتيجة للاحداث السياسية .

بثلاثة ملايين مخطوطة . وكل ذلك كان من اسباب  
ذبول الحضارة العربية في المشرق .

### الحملة المغولية

وجاءت النكبة الثانية على الحضارة العربية من  
المشرق فاودت بها . ففي غضون الحروب الصليبية  
خف المغول الى اكتساح بلاد الشام . وهم قوم غزاة  
كانوا ينزلون في منشوريا بين نهري سنكاري  
والايرتس طالما هددوا الصين ، وتمرضوا لها حتى  
اضطر احد اباطرتها شي هنج تي لتشييد السور  
الكبير ، ابتداء من سنة 240 الى سنة 210 ق م  
ليكون سدا بين بلاده وبين هؤلاء المنشوريين . وهو  
على ما اثبت بكتابي « الاتحاد السوفياتي والصين  
الشعبية كانك تراهما » بعد زيارتي له هو نفس سد  
ذي القرنين الذي ورد ذكره في القران الكريم . غير  
ان هذا السور لم يقو فيما بعد على دفع غارات المغول،  
بل ان ملكهم جنكيزخان الذي انشا امبراطورية كانت  
تمتد من بحر اليابان الى بحر قزوين فقد تصداه الى  
الصين وفرض على حكومتها الشرقية جملا لقاء حراسة  
الحدود ، كما ان ولده كوبيلاي نقل عاصمة بلاده من  
قره كروم الى بكين .

وكان جنكيز خان يرسو بعين الطمع الى بلاد  
الاسلام لما بلغه من خيراتها وعمرانها ثم لما علمه من  
تنازع ملوك الترك في اطرافها ، بالاضافة الى ضعف  
الخلفاء العباسيين الذين لم يترك لهم هؤلاء الاماجم  
الا السلطة الروحية ، فتقدم اليها حتى استولت  
على تركستان . ولكن الاجل عاجله قبل ان يدرك  
امنيته من البلاد العربية . ولما بويغ الخان منكو بن  
طولي سنة 1246 م عهد الى قائده هولكو فتح بغداد،  
كما عهد الى قادة اخرين اكتساح اقاليم اخرى .

وقد ارسل هذا الخان وفدا الى لويس التاسع  
ملك فرنسا في قبرص ، وهو قائد الحملة الصليبية  
السابقة . بدعوه فيها للاتفاق بينهما على المسلمين ،  
كما ان عطف هولانو على النصارى - اذ كانت امه  
وزوجته مسيحيتين - اغرى البابا اسكندر الرابع  
بدعوته الى اعتناق دين المسيح لقاء وعد منه بمساعدته  
على المسلمين، ولكن هولكو استنكر هذه الدعوة وبقي  
على دين بوذا وعلى الرغم من وحدة الهدف بينهما  
فلم يصل الى توحيد العمل وانما اقتصرت العلاقات  
بينهما على التواد والتعاطف .

ولما دخل هولكو بغداد سنة 656 هـ - 1258 م  
قتل المغول ما يزيد على مليون رجل فيها والقوا في

دجلة كتبها وكانت ، على قول مجلة الهلال م 19  
من 392 ، « شيئا لا يعبر منه » ثم لما استتب له  
الامر فيها سير جنوده الى فتح الشام ، وقد تمكنوا  
من الاستيلاء عليها حتى بلغوا غزة ، غير انهم لم  
يتمرضوا للثغور التي كانت لا تزال في حوزة الصليبيين،  
واهمها انطاكية وبيانا ومكا . اما فظالمهم فيها  
ولاسيما في حلب فعلى قول ابن العبري تجاوزت  
الجد الذي ارتكبه في العراق . وكان اشدها تمريضهم  
للمكتبات التي كانت زينة الحضارة العربية وقوامها .

### نتائج الحملات الصليبية والحروب المغولية في الناحية الثقافية

ان الملوك اذا دخلوا قرية جعلوا عاليها سافلها  
فيكفي القول ان بلاد الشام كانت دار حرب تتناوشها  
من الشرق والغرب طوال ثلاثة قرون ونصف القرن  
اي من مطلع القرن الحادي عشر للميلاد الى اواسط  
القرن الثالث عشر يكفي هذا القول لتقدير سوء  
احوالها المادية والمعنوية فضلا عن الثقافية . ولاسيما  
اذا اضفنا الى ذلك الحروب الداخلية بين الاسرة  
السلجوقية ، ثم بين آل زنكي وآل ايوب ، ناهيك  
بالفتن الطائفية بين السنة والشيعة . فكان من  
حصيلة كل ذلك اندراس المكتبات ، واقفال المدارس ،  
وضياع الاوقاف المحبسة على تلك المدارس  
والاعمال الخيرية، وتحطيم الاقلام وتقليص التراث على  
ان هذه الكوارث لم تنته بانتهاء القرن الثالث عشر ،  
وانما استمرت وبرزت على اشدها في مطلع القرن  
الخامس عشر بحملة تيمور لنك التركي على آل  
عثمان وعلى بلاد الشام فقضت على البقية الباقية من  
معالمها الثقافية .

وتجدر الإشارة هنا الى ان العلم كان قد النجا  
بعد سقوط بغداد الى مصر وسوريا . وقد رهنا  
الايوبيون بمصر والمماليك بعدهم فزدهم بمصر ،  
وانتمش ببلاد الشام التابعة لهم الا أنهم طاردوا  
الفلسفة ولاحقوا ذويها . وفي ذلك الحين تناولت  
حلب علم الزعامة الثقافية من دمشق حتى قام فيها  
على رواية محمد كرد علي في خطط الشام « ثلاث  
مدارس للطب ومدرسة للهندسة » ولكن هذه المدارس  
وغيرها قضت عليها حملة تيمور لنك فاضاعت  
الشهباء ازدهارها .

وعلى كل حال فلولا تلك النهضة العلمية التي  
برزت بمصر خلال حكم بني ايوب وخلفائهم المماليك  
وشخص الطلبة السوريين لتلقي العلم ولاسيما في

وأما الشعب فلم يكن أحد منهم يهتم به . وهو ، وفي مقدمته العرب ، كان قد استيقظ بالتماس مع العالم الغربي بالمدارس والتجارة والهجرة ، وأصبح تواقا للمعرفة ومجاعة الركب العالمي فلم يمه الا الإقبال على المدارس التبشيرية المختلفة التي انتشرت في كل مكان علاوة على المدارس الخاصة التي انشأتها الطوائف . فكانت العاقبة ان رعايا السلطنة العثمانية ، الذين هم في الاصل لا يشكلون وحدة قومية ، امسوا كتلا متباينة الاهداف في السياسة ، ومتباعدة في النطاق الملى . وكل ذلك افضى في النهاية الى متاهب واجهتها السلطنة هجلت بزوالها .

ومن رعى لغنا في ارض مسبعة  
وغاب عنها تولى رعيها الاسد

### النهضة الثقافية الحديثة في الشام :

اثر اختلاط الغرب بالمسلمين في بلاد الشام والاندلس وصقلية ، وفي اعقاب هجرة علماء بيزنطة الى بلادهم بعد فتح العثمانيين عاصمتهم القسطنطينية سنة 857 هـ - 1457 م انتفض الغرب انتفاضة جبارة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، كانت منطلقا لحياة جديدة في الاجيال اللاحقة . ولم تقتصر نهضته على الناحية الثقافية ، وانما تناولت الشؤون الاقتصادية ، وتركزت على القوة العسكرية .

ولكن الغرب على الرغم من انصرافه الى بناء مطرد لم ينس ابدأ بيت المقدس . وآية ذلك ان ملك اسبانيا فيليب الثاني افتتم فرصة وجود الامير فخر الدين المني الثاني في ضيافته بصقلية وذلك في مطلع القرن السابع عشر ، ليعرض عليه التعاون معه على طرد العثمانيين من البلاد المقدسة . ولكن على الرغم من خصومة الامير لهؤلاء ابي واستنكر وفضل العودة الى بلاده على التواطؤ مع الاجانب على دولته ، وعلى مقدساته .

ثم لما جاء عهد الاستعمار وانتقلت المبادرة الى الدول الاوربية ظلت فلسطين ماثلة امام امين هذه الدول ، ولاسيما حين تدامت السلطنة العثمانية ، واصبحت كل واحدة منها تسمى لان تؤمن نصيبها من ارث الرجل المريض .

وقد وضعت اعتمادها على الارشاليات التبشيرية التي كانت بمثابة طلائع جيش الفتوح لان هذه الارشاليات لم يكن يعمد اليها التبشير بواسطة المدارس فقط ، وانما كانت تعمل كدائرة

ازهر ميودها لاندرست الثقافة في بلاد الشام ، ولما بقي فيها عالم او اديب بالمعنى الصحيح . وعلى الرغم من ان كثرة العلماء امسوا فيها من الحشويين الذين يختارون في التأويل الغريب المدسوس على الصريح المعقول ، ومن ان اكثر الادباء امسوا يمتنون بالالفاظ الرنانة والصبغات المنمقة دون المعاني ، ودون توجيه الشعب للبناء والانطلاق فان البلاد لم يدركها القحط الكلي . بل ظهر فيها من العلماء والادباء نفر اتيح لهم ان يحتموا بالشهرة كابن عساكر المتوفي سنة 616 هـ ، وابن الفارض 645 ، وابن الاثير 637 ، وابن تيمية الولود سنة 661 .

### عهد السلطنة العثمانية :

كان من المفروض في بني عثمان الذين اتيح لهم ان يقيموا امبراطورية عظيمة على انقاض الممالك العربية وعلى انقاض الامبراطورية البيزنطية التي كانت في ذلك العصر منارة العلم في الغرب ، كان من المفروض ان يستغلوا مخلفات هاتين الامتيسين وان يعطوا العالم حضارة جديدة او ان يسيروا على الاقل في مواكب التمدن الحديث . ولكنهم باستثناء سلاطينهم الاولين الذين قلدوا الخلفاء العباسيين برعاية العلم والادب ، وتحلوا بهما انصرفوا عن كل ذلك الى حروب كانت غايتها في البداية التوسع في اوربا ، وكان هدفها في النهاية الحفاظ على مكاسبهم الحربية ، ثم الدفاع عنها تجاه الاتحاد الاوربي المقدس الذي ابرم ضدهم . وبهذا وذلك ظلوا يبيدين عن العلم والادب ، فما حافظوا على ما ورثوه من العرب ، وما اقتبسوا التمدن الحديث من الغرب الا بعد ان اشرفت دولتهم على الانهيار . على انهم ما ان فكروا في وجوب الخروج من نطاق الجهود وباشروا الاصلاح حتى كان هدفهم ينحصر في الشؤون العسكرية فانشا السلطان مصطفى الثالث ( 1757 م - 1774 ) مدرسة الفنون الحربية . ولكن السلطان محمود الثاني ( 1808 م - 1839 م ) ما ان اتيح له القضاء على الاكتشافية ، هذه الطغمة التي كانت تقف في وجه التجدد ، حتى عمد الى الانطلاق في سبيل الاقتباس من اوربا . وفضلا عن بنائه المعهد الطبي باسطنبول فقد اوفد بعثة من الطلبة للتخصص في معاهد اوربا . كما ان خلفاءه شرعوا يمتنون بالولايات . ولكن عنايتهم هذه كانت لا تتجاوز انشاء مدارس اعدادية وعسكرية كانت الغاية منها اعداد الموظفين للحكومة ، واعداد الضباط للجيش .

والخيرية منها ، ولكن الوضع العثماني لم يكن يشجعهم ولذلك اضطروا في البداية الى اللجوء للتعاون مع الاجانب ، الذين كانت تحميمهم الامتيازات من اجل تأليف الجمعيات المنشودة . وقد الف بعض علماء بيروت وادبائها سنة 1858 بالتعاون مع بعض المرسلين الاميركان « الجمعية العلمية السورية » التي كانت غايتها الاهتمام بنشر المعرفة وخدمة الادب فعاثت نحو سبع سنين . ثم لم تلبث ان هادت للحياة في عام 1867 ، واصدت مجلة باسم مجلة مجموع العلوم . ولكنها لم تمش طويلا .

وفي اعقاب ذلك تبدل الوضع في سوريا حينما نصب مدحت باشا الملقب بابي الدستور واليا عليها سنة 1829 م . فهو اذ كان يطمح بالاستقلال في بلاد الشام على فرار خيدوية مصر بتشجيع من فرنسا شرع يتحجب الى اهله فاطلق لهم شيئا كثيرا من الحرية . وكان الجو الذي بدا في ايام ولايته وما بعدها مشجعا لبعض اهل العلم والادب من البيروتيين لان يؤلفوا المجمع العلمي الشرقي سنة 1881 بالاستقلال عن الاجانب . ولعلمهم اختاروا هذا الاسم لجمعيتهم من قبيل التمثل بالاوروبيين ومجامعهم العلمية . ولكن هذا المجمع لم يكمل العاملين من العمر . فانبرى بعيد ذلك المطران يوسف الدبس لانشاء الدائرة العلمية المارونية برئاسة . ولم تكن اطول عمرا من سابقتها . ذلك بان السلطان عبد الحميد الثاني ( 1876 - 1909 ) لم يكن يرتاح للتكتلات الشعبية - الامر الذي ادى الى انحلال الجمعيات الخيرية ايضا ، وفي مقدمتها جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية . ولولا ان جمعية شمس البر الادبية كانت تستند الى رعاية الاميركان وحميتهم لما عاشت حتى الحرب العالمية الاولى ( 1914 - 1918 ) . ولا بدع فلقد كان عهد هذا السلطان شديدا للحد من مؤامرات الدول الاجنبية التي كانت تحاك حوله . والى ذلك فلم يكن يطمئن لشعبه الذي تخرج في المدارس الاجنبية .

وهذا الخوف من الداخل والخارج حملته على التشديد في المراقبة والمقابلة على الشبهات احيانا . من ذلك ان شاعرا بيروتيا ، واظنه مصباح البربري نظم قصيدة غزلية كان مطلعها :

ان حبي كل يوم في ازدياد

والهوى ياتي على غير المراد

فقامت قيامة الولاية في بيروت ، وانتصب

استخبارات لتسهيل الفتح ، والاعداد له بشتى الوسائل ومهما يكن من امر فان هذه الارساليات التي ترجع اولها الى عهد الامير فخر الدين المني المشار اليه فانها ولا شك عملت لبث نهضة ثقافية في سوريا ، ولاسيما بلبان رافقتها نهضة تجارية واجتماعية .

ثم كان لاحتلال نابوليون بوناپرت لمصر سنة 1213 هـ - 1798 م اثر كبير في نهضة الشرق العربي ذلك لان هذا الفاتح الكبير استصحب معه لوادي النيل بعثة علمية فنية كانت حافلة باشهر علماء فرنسا ، فوضعت التصاميم الاصلاحية وقامت ببعض المشاريع العمرانية التي كانت فيما بعد منطلقا لنهضة هذا المشرق الحديثة في عهد الاسرة العلوية ، وخديويها ولاسيما في لبنان الذي ساهم اينآؤه في النهضة المصرية .

### النهضة الثقافية في لبنان :

منذ عني الاوروبيون بطباعة الكتب العربية وترجمتها في مطلع القرن الخامس عشر بادروا للاستعانة ببعض المثقفين من اللبنانيين ، ولاسيما رجال الاكليروس . فانتقل هؤلاء الى روما والسواكن اكثر العواصم الغربية والجنوبية ، وساهموا فيها بأعمال الترجمة والطبع والتدريس وقد تولى نفر منهم الوظائف . وسرعان ما كان ذلك حافزا لهم وللمتخلفين منهم للاتفات الى وطنهم ، فانشأوا في عام 1042 هـ - 1632 م المدرسة الاولى في قرية حوقه ، والثانية في حلب عام 1073 هـ - 1662 م وكانت اولى المطابع تلك التي استجلبها البطريرك اثناسيوس دباس الى حلب في مطلع القرن الثامن عشر . والثانية مطبعة الراهب الحلبي عبد الله زاخر في دير مار يوحنا الطيبة في الخنشارة بلبان ، وفي غضون تسابق الدول الاجنبية الى فتح المدارس التبشيرية في المدن والقرى في كل من ولاية بيروت ومتصرفية لبنان وغيرهما ادرك البيروتيون ، وعلى رأسهم رجال الدين مغبة ترك تربية اولادهم لسواهم فخفت كل طائفة منهم لانشاء المدارس الوطنية .

وكان من نتيجة انتشار العلم في الساحل السوري على وجه عام ذلك الاقبال الشديد الذي برز من قبل مثقفي الشعب على المزيد من فتح المدارس واصدار الصحف ، وانشاء المطابع ، وقراءة الكتب وتاليفها . وقد رافق هذا الاقبال ميل من الشعب لتأليف الجمعيات ولاسيما الادبية

الجزان . لماذا ؟ - لان للسلطان اخا اسمه مراد كان قد اتهم بالخبل فخلع وبويع السلطان عبد الحميد مكانه . ومن هنا اتهم الشاعر بأنه يعرض بالعاقل المخلوع وسيق للمحاكمة .

وفي عهد كهذا ليس من المنتظر ان تتألف الجمعيات ، واذا تألفت لم يكن من المقدر لها ان تعيش .

### المجمع العلمي اللبناني :

حفل لبنان في صدر القرن العشرين بحملة الشهادات العليا من خريجي المعاهد والمدارس الوفيرة فيه ، ومن خريجي جامعات الغرب . ولما اصبح له كيان سياسي في عهد الانتداب الفرنسي بالقائسون الاساسي والحكم الدستوري اتجهت انظار الطبقة المثقفة فيه الى ان تكون له هيئة تمثل وجه وطنها الثقافي ، وذلك بانشاء مجمع علمي اسوة بسوريا منذ عام 1919 . وكان الشيخ ابراهيم المنذر الاديب الكبير عضوا في المجلس النيابي اللبناني فثار هذا الموضوع . ثم كانت له وقفات حوله قوية خلال عام 1927 سرعان ما التمرت فقرر المجلس انشاء المجمع المنشود على الرغم من ان الانتداب الذي كان يشجع اللغة العامية بلبنان ضمن نطاق تبعيته عن شقيقاته لم يكن راضيا عن هذا العمل . واستنادا الى قرار المجلس المذكور اصدر رئيس الجمهورية الاستاذ شارل دباس قانونا بانشاء مجمع علمي لبناني وذلك في 20 شباط 1928 غاية المحافظة على اللغة العربية ورفع شأنها ، والعناية بالمباحث والاممال المتعلقة باصولها وآدابها والمحافظة على الآثار ، ودراسة تاريخ لبنان وجغرافيته ، وغير ذلك مما يتعلق بادارة الشؤون العلمية وتنظيمها . واصدر مرسوما آخر بتعيين السادة الالية اسماؤهم اعضاء لهذا المجمع : الشيخ ابراهيم المنذر ، والشيخ عبد الله البستاني ، والشيخ امين تقي الدين (1) ، والشيخ منير عسيران ، والشيخ محمد الحسيني ، والاستاذ بولس خولي ، والبطريرك اغناطيوس الفرام الرحماني ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، والخولي بولس عبود ، والاستاذ وديع عقل ، والاستاذ الياس فياض ، والشيخ احمد عمر الحمصاني ، والاستاذ عيسى اسكندر العلوف ، والاب لويس العلوف ، والشيخ حسين مغنية .

وفي التاسع من شهر اذار 1928 افتتح المجلس اعماله بحضور الشيخ بشارة خليل الخوري رئيس الوزراء الذي كان وزيرا للتربية الوطنية ، وانتخب مكتبه التنفيذي على الوجه التالي : الشيخ عبد الله البستاني رئيسا ، والشيخ احمد عمر الحمصاني ، والاستاذ وديع عقل ، معاونين للرئيس . وقد اتخذ المجمع في اول الامر وزارة المعارف والتربية مقرا له ، ثم انتقل الى دار الكتب الوطنية ، ووالى اجتماعاته فيها الى ان استقل في دار له خاصة .

وقد حالت بعض الاسباب دون اشتراك السادة عبد الله البستاني والاب لويس مطوف ، والاستاذ عيسى المطوف ، والشيخ محمد الحسيني والشيخ حسن مغنية في جلسات المجمع الاولى فقرر اعتبارهم اعضاء مراسلين وانتخب بدلا عنهم السادة : الشيخ علي زين ، والخوري جرجي ستيبي « الذي اصبح من بعد مطران السرايان بدمشق » ، وجرجي صفا ، واسد رستم ، ومحمد جميل بيهم . ونتيجة لهذا التبدل اجتمع المجمع في 25 تشرين الاول 1928 وانتخب الاستاذ وديع عقل رئيسا له ، والياس بك فياض والشيخ ابراهيم المنذر معاونين وذلك لمدة عام . وقد وضع المجمع خلاله نظامه الداخلي .

ولما اترف موعد الانتخاب في السنة التالية ، وشعرت السلطة ان نية اكثر اعضاء المجمع منصرفه لانتخابي للرياسة تحركت فوراً لاني كنت من اشد المعارضين بلبنان للانتداب ، والمنادين بالوحدة العربية . وقد مهدت الى الشيخ بشير الخوري المنسوب من وزارة المعارف للاشراف على الانتخابات السمي لتوجيه الاعضاء الى تجديد الرياسة للاستاذ وديع عقل ، وذلك في جلسة الانتخاب المحددة في 18 تشرين الاول 1929 ولما باوت مساميه بالفشل تحول بكليته الي ، وشرع يقنعني بالتخلي عن الرياسة للاستاذ عقل لسنة اخرى على ان اعلن ذلك لزملائي . فكان جوابي له : اني لم اكلف احدا منهم ان ينتخبني ، كما اني لا اعلم من هو المرشح عند كل منهم فكيف يسوغ لي من بعد ان اطلب منهم ان لا ينتخبوني لمنصب الرئاسة واعرض نفسي لقول قائل : من اخبرك اني مزعم ان اصوت لك ؟ . ولما استولى عليه الياس اجل الانتخاب ريثما يقابل نسيبه الرئيس

(1) وهم من المشايخ المدنيين الذين تحمل اسرهم هذا اللقب .

المحصاني ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، وجرجس بك صفا .

وقد قامت هذه اللجان بما عهد اليها على خير وجه في جو من التعاون والوثام ورفعت الى المجمع تقاريرها لتكون اساسا للبحث والاقرار ، ومن ثم للتنفيذ .

#### تقرير اللجنة الادارية :

تناول التقرير الاوضاع العلمية والادبية في البلاد العربية ولاسيما لبنان، كما تناول انشاء المجمع العلمي اللبناني واعماله منذ نشأته حتى ذلك التاريخ، و اشار الى ما عقد العزم على تحقيقه في تلك السنة وما بعدها . ولاسيما في حقل توثيق العلاقات بينه وبين الجامع العربية الاخرى . كما انه اشار الى بعض الدمورات الخارجية التي وردت له، وعلى رأسها دعوة المجمع الادبي العام في باريس .

#### تقرير اللجنة اللغوية :

بعد ان اكد التقرير ضرورة التعاون مع سائر الجامع العلمية العربية ، وبمدا ان اشار الى آراء طائفة من اكابر كتاب العرب بشأن اصلاح اللغة توصلت اللجنة الى الاستنتاج بان هؤلاء على خلاف في وجهة المسير . فبينما يقبل بعضهم ما يقدره الافراد المعنيون باللغة فان البعض الاخر كان يرى ان للمجامع وحدها الحق في وضع الكلمات الجديدة . وقال التقرير في التعليق على ذلك بناء على ما تقدم راي المجمع العلمي اللبناني قبل ان يجرم في هذا الشأن ان ينتدب رئيسه الحالي الاستاذ جميل بيهم فيقصد مصر . ومصر اليوم قلب العالم العربي النابض : ويسمى لاجداد صلة بين الهيئات اللغوية والمجامع العلمية في الاقطار العربية تمهيدا لمقعد مؤتمر عام يجتمع في كل سنة لاجل التعاون والتفاهم على الطرق السوية لترقية اللغة العربية . ولقد سافر الاستاذ الرئيس الى مصر فقابل وزير المعارف ، وصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا وبسط لهما مهمته فلقى منهما الارتياح التام . ثم اخذ يث الدعوة بين جمهور المفكرين العاملين . وساعده على ذلك بعض اهل الفضل والوجاهة بما فقدوه من حفلات لهذه الغاية . وقبل مغادرته مصر تالفت لجنة في القاهرة من كبار مفكرها وعلمائها جعلت همها السعي لتحقيق هذه الغاية . ولم يطل المعهد حتى نقلت اليها الصحف البشري بانشاء المجمع المصري للثقافة العلمية وترقية اللغة العربية »

الشيخ بشارة الخوري . ولم يلبث الا قليلا حتى عاد حاملا الي بشري الوعد بتعييني وزيراً للمعارف والتربية الوطنية اذا تخلصت من رياسة المجمع . فقلت له مبسما انت تعلم يا شيخي اني لست من طلاب الوظائف ، كما تعلم ايضا ، مما نشرته الصحف في حينه ، اني كلفت باشغال مناصب عالية من قبل فرفضت التعاون مع العهد ، فكيف تريدني التحول الآن من مبدئي ؟ لهما وسع البشير الا السكوت علي مفض . ولما جرى الانتخاب يومئذ اسفر عن احرازي معظم الاصوات للرياسة ، ومن انتخاب الشيخ ابراهيم المنذر والاستاذ سعيد عقل معاونين لهما . وهنا مجال للتنبؤ بالاستاذ عقل هذا الرجل الوطني الموهوب ذلك لانه تعاون معي في نطاق خدمة المجمع وكان شيئا لم يقع من قبل، وكرس جريدته الراصد للتكلم بلسانه .

وكان اول عمل باشره المجمع بعد ذلك تطبيق نظامه الداخلي الموضوع في العام الفائت يتوزع تقسيم امضائه على اربع لجان عهد الي كل منها ان تعمل بجهد ونشاط ضمن نطاق المهمة الموكولة اليها وهي :

اللجنة الاولى « الادارية » ومهمتها القيام بالامال الادارية ، وتحضير الموازنة المالية كل عام . وكانت تتالف من السادة : محمد جميل بيهم ووديع عقل و ابراهيم المنذر .

اللجنة الثانية « اللغوية » ومهمتها التدقيق في وضع الكلمات والمصطلحات للمعاني العلمية الجديدة والمسميات الحديثة . والتعاون مع المجامع العلمية العربية الاخرى توصلا لوضع معجم يوفى حاجة العصر . وكانت تتالف من الشيخ منير ميران ، والشيخ ابراهيم المنذر والياس بك فياض والشيخ امين تقي الدين .

اللجنة الثالثة « لجنة التاريخ والجغرافيا » وعهد اليها بالاضافة الى التحقيقات التاريخية وضع معجم جغرافي للبنان على اسلوب علمي حديث . وكانت تتالف من الاساندة اسد رستم ، وبولس الخولي . والخولي جرجس ستيني . والسيد علي الزين ومحمد جميل بيهم .

اللجنة الرابعة « لجنة المخطوطات » وعهد اليها بوضع احصاء عام للمخطوطات العربية في الجمهورية اللبنانية ، وترتيب تدوينها على طريقة علمية تسهيلا لمراجعتها . وكان قوامها الشيخ احمد عمر

والفرنسية في بيروت . فطلبنا الى حفصة الاب هنري لامنس اليسوعي ان يتولى كتابة المقدمة التي تتعلق بجغرافية لبنان التاريخية ، والى الاب جبرائيل لوفتك ان يكتب مقاله في جغرافية الجبل الاقتصادية كما انا رفينا الى بعض اساتذة الجامعة الاميركية في بيروت ، وهم الفريد داي ، ويوليوي برون ، والدكتور ويليم فانديك الكتابة في جيولوجية لبنان ومناخه وحيواناته ونباته ومياهه . واما القسم الاكبر من العمل في هذا المعجم ، وهو جمع حقائق عامة في الجغرافيا والتاريخ عن البلدان والقرى والمزارع اللبنانية ، وترتيب هذه المباحث وتنسيقها وضبطها فقد شرعت به هذه اللجنة وطبعت جداول تمهيدية لوضع القاموس العام . وفي كل منها حقول متنوعة تتناول المدن والقرى ومدد النفوس فيها ، والمداهب ، والانهار والينابيع والجبال والمناجم والمعابد والمقامات والعامل والماهد العلمية ، ومواطن الآثار، واهم الحاصلات الزراعية والمنتجات الوطنية الى غير ذلك من الشؤون عدا اماكن الاصطياف ، ورفعنا هذه الجداول الى وزارة الداخلية الجليلية لتامر بتوزيعها على المحافظين والمديرين والمختارين في الجمهورية اللبنانية . وقد اعدت الجداول المذكورة بمعاية ، وعهد بها الى هذه اللجنة لتصحيح ما يحتاج التصحيح . ولتنسيقها .

#### تقرير لجنة المخطوطات العربية القديمة :

اشار التقرير الى الصعوبات التي تعترض من ينقب عن هذه المخطوطات ، ولاسيما لان اكثرها كان موزعا على مكتبات جامعة لم تعمل بعد ايدي الباحثين للتحري عنها . واكثرها غير معروف ثم بينست اللجنة انها بدأت باحصاء ما في مدينة بيروت ، وانها ستشرع من بعد في البحث عما يوجد في غيرها من المخطوطات حتى اذا اكتمل العمل تنظم منه مجمعا محيطا ليسهل الرجوع اليه على ان يشمل هذا المعجم اشارة الى موضوع كل كتاب . والى الزمير الذي وضع فيه ، واذا كانت له مزية اخرى . وختمت اللجنة التقرير بذكر ما احصته في مكاتب بيروت الكبرى من المخطوطات فكان كما يلي :

مكتبة الجامعة الاميركية :

183 مجلدا و 134 رسالة

مكتبة الآباء اليسوعيين :

245 مجلدا و 44 رسالة

وبعد ان اشار التقرير الى البيان الوافي الذي وضعه سنة 1928 الشيخان عبد الرحمان سلام ، واحمد عمر الحمصاني في كيفية المحافظة على اللغة العربية ، واورجه بما ورد في الختام : «لذلك نرى ان باب الاستتاق في اللغة العربية يجب ان يفتح على مصراحيه توصلا الى استخدام الافعال والصفات المتعلقة بها حسب مقتضيات العصر ، فيتسع بذلك مجال الانشاء ، ولا يعاني طلاب العلم والكتاب ما يعانيون من المشاق والمصائب » ومضى يقول : « وسننظر فوق ما تقدم في اصول اللغة ، اي قواعدها الاساسية المتخذة حجة لصحة الكتابة والانشاء . وهي في كل فرع من فروع الصرف والنحو والعروض والبيان وغيرها لا تزال على حالها منذ وضعها الائمة لم يطرح منها باب ، ولا عدلت قاعدة لذلك شق تحصيلها على طلابها لانهم رزحوا تحت امائها ، وضاعوا بين المؤلفات الضخمة ، والآراء المتباينة ، والقواعد المعقدة التي يجب ان تطرح من كتب اللغة سهلا لتناولها . ولا يخفى ما في تحقيق هذه الامنية من الصعوبة تجاه الثمعتين . ونحن نتوخى في كل حال المحافظة على عظمتها وتمايزها الشاملة مستعينين باقطابها المدققين العاملين الضاربيين في مشارق الارض ومغاربها » .

#### تقرير لجنة التاريخ والجغرافيا :

اشار التقرير الى اهتمام اللجنة بتاريخ لبنان وجغرافيته ليقف المواطن على احوال بلاده وثقافتها صحيحا ويلم بكل ما فيها من العالم والآثار بالاضافة الى تزامم كبار اللبنانيين الذين تركوا غير ذكر في العلم والادب او الوجاهة مع العمل البناء لم يفسى يقول :

« لما كان العالم العربي في الشرق والغرب في حاجة الى المراجع الكاملة عن بلاده ترى اللجنة ان يعني المجمع في بدء اعماله ، مناية خاصة ، بوضع معجم جغرافي لجميع البلدان والقرى والمزارع والانهار والجبال في الجمهورية اللبنانية ، وان يكون لهذا المعجم الجغرافي مقدمات عامة في جغرافية لبنان السياسية والاقتصادية والتاريخية مصحوبة ببعض مباحث في جيولوجية لبنان ومناخه ونباته وحيوانه وذلك بالاستعانة بفريق من اساتذة الجامعتين الاميركية



**الفاء المجمع العلمي اللبناني :**

198

476

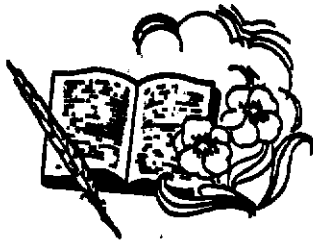
كان بين الاستاذين الحاميين اميل اده والشيخ  
بشارة الخوري تنافس على الرياسات في عهد  
الانتداب وبعده . فلما خلف الاستاذ اده الشيخ  
بشارة على رئاسة الوزارة ، وهو رائد من رواد هداية  
لبنان واهتمامه على فرنسا لم تترك له اتصالات  
المجمع العلمي اللبناني بالمجامع العلمية واللغوية  
العربية . لذلك فوجيء المجمع في عهده بمرسوم  
صادر من رئاسة الجمهورية مؤرخ في 3 شباط 1930  
يقضي بالغائه تحت ستار التوفير على الخزينة .  
فكان لهذا المرسوم اثر سيء ، ولا سيما على اعضاءه  
الذين كانوا يوفون الخدمة حقها ، ولا يريدون جزاء  
ولا شكورا ، فقدموا استدهاء الى وزارة الداخلية  
بطلب الترخيص لهم لمتابعة العمل باسم المجمع المذكور  
دون الاعتماد المالي . ولكن المجمع اضطر فيما بعد الى  
التوقف لان مؤسسة كهذه عليها ما عليها من النفقات  
لا يطول عمرها اذا لم تمدها الحكومات بالمساعدة .  
ثم ما برح اعضاء المجمع ، الذين كانوا يشعرون  
بالفراغ . يطالبون باعادته . وقد استجاب لهم المجلس  
النيابي عام 1944 . وفرر تخصيص مبلغ من المال  
لامادة المجمع . ولكن الحكومات المتتالية ضربت  
صفحا منه فمضى نجه هكذا قبل القطاف .

وفي هذه المناسبة يطيب لي ان اذكر ان مكتبة  
المخطوطات في داري تحتوي على 41 مخطوطة بعضها  
ليس له نسخة ثانية في المكتبات الاخرى .

**الى الامام في خدمة العرب والعربية**

وقد استمع المجمع الى تقارير لجانه وناقشها ،  
وحدث اعضاءها على المزيد من النشاط حبا بالقيام  
بالتبعية الملقاة عليهم على حير وجه . وقرر في الجلسة  
التي عقدها يوم 29 اذار 1929 تكليفني بأن اتصل  
بالمجمع العلمي العربي بدمشق من اجل التماسون على  
تحقيق فكرة المؤتمر اللغوي العام الذي كنت دعوت له  
في مصر فانجزت ما تقرر .

هذا وكانت جريدة البرق نشرت مقالا لصاحبها  
الاستاذ بشارة الخوري اقترح به على المجمع اكمال  
دائرة المعارف التي اصدر بعض اجزائها الاستاذ  
بطرس البستاني قبل حين فرحب المجمع بهذا  
الاقتراح وفوض الى اثنين من اعضاءه : الشيخ عبد  
الرحمن سلام والاستاذ جرجس صفا ، لدرس هذا  
الموضوع ول يقدم كل منهما تقريرا في الوسائل التي  
يمكن بها تحقيق هذا الاقتراح . وفضلا من ذلك  
فقد قرر انشاء ناد يشتمل على مكتبة عامة ، ومجلة



## حوار علماء الترسيين (١)

# مِيزة البيكان في نشأة الإنسان كيف نشأت اللُغة في المجتمع البشري؟ الأستاذ غليلك عبدالله

### المقدمة :

طريق علمي ... وبعد استحضار الطرق واستقراء الأدلة ، يبقى الراجع منها لبعض عناصر هذا البحث قائما على الاحتمال .

أذن لابد لنا من دراسة ما قاله التاريخ القديم . وما جاءت الكتب السماوية حول هذا الموضوع . كما لابد لنا من أن نحقق فيما وصل اليه علماء اليوم سواء في الجيولوجيا او في الفلك او في النفس او في الحياة والحيوان والنبات او في الفيزيولوجيا والذرة . وما شابه ذلك .. ثم نخرج بنظرية او اكثر حول هذا البحث لعل فيها نفعا للباحثين .. ومتمعة للمتفكرين .

### النظرة الحيوانية :

لقد درجت اغلب علوم العصر وعلمانه في مختلف المجالات الطبيعية والحياتية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والكونية وغيرها كثير .. على تبني مبدا التطور . والبناء على اساس مذهب التطوريين .. فما هذا المذهب ؟ .. وماذا يقول ؟ .. وما هي نسبة الصواب فيما يقول ؟ ..

يعود هذا المذهب الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما اسدر دارون ( Darwin ) كتابه المسمى اصل الانواع - سنة 1859 ، ومن ثم كتابه الثاني اصل الانسان - سنة 1871 . ومن ذلك الزمن تغيرت نظرة الانسان الى نفسه . والى

حادثة البيان عند الانسان من الحوادث الغامضة ، والمثيرة جدا ، وهي ايضا مفرقة بالتمعبد ، لا يكاد انسان اليوم يجد لها جوابا مقنعا .. حيث انها تتعلق بتاريخه الغامض . بعض الشيء ؛ كما يدور حولها تكهنات عديدة ، وي طرح على بساطها عدة اسئلة . هي :

اولا - كيف نطق الانسان الاول وابان من مدركاته ؟ ..

ثانيا - باية لغة نطق ؟ ..

ثالثا - هل كان لديه ذخيرة من الالفاظ اطلقها على المراد بيئته بيمتنض الحبال ام انه تناول الفاظه من تلك البيئة ؟؟ ..

رابعا - هل كانت تلك اللغة الاولى التي دوت الفاظها على البسيطة هي ام اللغات . واصلها الامسيل؟ .. ام ان لكل لغة نبعا مستقلا ؟ ..

الجواب عن هذه الاسئلة وامثالها . يحتاج الى جهد كبير لكي يوفيه الباحث حفتها . ولانها مفرقة في الابهام . عميقة عمق التاريخ . ولابد لمن اراد ان يتحدث عنها من تقصي كل ما قيل عن الانسان الاول . سواء من طريق نقلي او من طريق عقلي . او من

التطوري . ولذلك نكل الكائنات الحية متساوية القيمة . وليست فكرة التقدم الا فكرة انسانية . ومن المسلم به ان الانسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محله القطة او الفار .

« ولم تصفر الهوة هنا بين الانسان والحيوان . نتيجة المبالغة في اعطاء الحيوان صفات الانسانية ؛ وانما نتيجة التقليل من الصفات الانسانية في الانسان . ومع ذلك فقد ظهر منذ عهد قريب اتجاه جديد ، سببه في الغالب زيادة المعرفة واتساع نطاق التحليل العلمي »

« ان الخطار يتأرجح ثانية : وتتسع الهوة بين الانسان والحيوان مرة اخرى . وبعد نظرية دارون لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا (1) ولكنه بدأ يرى نفسه حيوانا غريبا جدا . وفي حالات كثيرة لا مثيل له . وتحليل تفرد الانسان من الناحية البيولوجية لم يبلغ نضجه بعد . وما هذا المثال الا محاولة لعرض مركزه الحالي ...

« وأول خصائص الانسان الفذة ، واعظمها وضوحا . قدرته على التفكير التصوري - التخيل - ولقد كان لهذه الخاصية الاساسية في الانسان نتائج كثيرة . وكان اهمها نمو التقاليد المتزايدة - الناشئة من رصيد التجارب الانسانية - ومن اهم نتائج تزايد التقاليد - او اذا شئت من اهم مظاهره الحقيقية - ما يقوم به الانسان من تحسين لميابه من مبادئ وآلات . وان العدد والتقاليد لمي الخواص التي هيأت للانسان مركز السيادة بين سائر الكائنات الحية ... وهذه السيادة « البيولوجية » - في الوقت الحاضر - خاصة اخرى من خواص الانسان الفذة « (ص 5/3)

وهكذا يضع علم الحياة - الانسان - في مركز مماثل لما انعم به عليه كسيد المخلوقات . كما تقول الاديان .. (2) »

« ولقد ادى الكلام والتقاليد والعدد الى كثير من خواص الانسان الاخرى التي لا مثيل لها بين المخلوقات الاخرى ، ومعظمها واضح معروف .

« والانسان لا مثيل له ايضا كنوع مسيطر . اذا انقسمت كل الانواع الاخرى المسيطرة الى مئات والآلاف كثيرة من الانواع المنفصلة ، وتجمعت في اجناس

كونه والى تاريخه . حيث دوت نظرية دارون معلنة ان الحياة قد تطورت من الخلية الواحدة الى الانسان المعقد . وهذا الانسان قد تطور من حيوان سابق الى حيوان يشبه الانسان ( القرد ) الى انسان يشبهه الحيوان ( الحلقة المفتوحة ) . الى الانسان .

ولقد حطبت هذه النظرية كل ثبات في نظر العلماء والعامية وساعدها عدة عوامل قوية في ميادين السياسة والحضارة والمعتقدات - لا مجال الى شرحها هنا - وتلقاها الجميع بذهول ثم بكل ترحيب . وحملها العامة والخاصة . العلماء والسوقة ، بكل نشوة ومصبية فترة من الزمان ، بدون اعمال العقل وتحكيم الضمير . وكان الزمان كغليلا بأخاد هذه الثورة في النفوس . ورجع هؤلاء الناس الى عقولهم ، وتناولوا النظرية من جديد ؛ بحثا وتدقيقا . فكان منهم من ردها نهائيا . ومنهم من عدل لميها . ومنهم من بقي ينفخ في رؤوس الناس لقبولها ، مستهدفا بعض الغايات . - او الاخرى نفس الغايات التي وجدت النظرية بسببها .

العالم الدارويني الحديث - جوليان هكلي - يؤمن بالتطور كاستاذ دارون ولكن يخالفه بحيوانية الانسان . ويمتد ان الانسان متسرد بيولوجيا وسيكولوجيا ويتطور على قاعدته الانسانية الخاصة لا على القاعدة الحيوانية . كما يرمع هكلي من الانسان صفة المادية البحث ، ويلفت النظر الى عمل الفطرة الخلقة في نفس الانسان ( بيولوجيا ) وان له خصائص لم تلاحظ في أي حيوان . ولهذه الخصائص آثار متفردة .

ولنستمع اليه يقول في كتابه ( الانسان في العالم الحديث ) - ترجمة حسن خطاب - « لقد تأرجح الانسان كالخطار ( البندول ) لمي يتعلق بمركزه بالنسبة لبقية الحيوانات ، بين اعجاب الشديد او القليل بنفسه . يفصل بينه وبين الحيوانات هوة سحيقة جدا ، وهينا آخر هوة صغيرة جدا . »

« ويظهر نظرية دارون بدا الخطار ( البندول ) يتأرجح مكميا ؛ واعتبر الانسان حيوانا مرة اخرى . ووصل الخطار شيئا فشيئا الى انفس مدي تأرجحه ، وظهر ما بدا انه النتائج المنطقية لمروض دارون . فالانسان كغيره من الحيوانات . ولذلك فان آراءه في معنى الحياة الانسانية ، والمثل العليا ، لا تستحق تقديرا اكثر . من آراء الفودة الشريطية او بكتريا الباشلس . والبقاء هو المقاس الوحيد للتجساح

ومصائل عديدة ومجموعات أكبر . أما الإنسان فلنفسه حافظ على سيادته من غير انقسام . ولقد تم تنوع سلالات الإنسان في حدود نوع واحد .

« واخيرا فان الانسان لا مثيل له بين الحيوانات الراقية في طريقة تطوره .

« وللانسان خاصية اخرى بيولوجية ، وهي تفرد تاريخ تطوره .. ونحن الآن في مركز يسمح لنا بتعريف تفرد الانسان في تطوره . واما خاصية الانسان الجوهرية ككائن هي مسيطر فهي « التفكير المعنوي » .

ولقد كان بحثنا حتى الآن بطريقة ميسرة في خصائص الانسان من ناحية التطور والمقارنة . والآن نعود اليها . ونبحث فيها وفي نتائجها بشيء من الاسهاب .. ناولا يجب الا يعزب عن بالنا ، ان الفرق بين الانسان والحيوان في العقل اعظم بكثير مما نضن عادة .. وكلنا على علم بقوة الفريزة في الحشرات . ولكنها تبدو عاجزة عن معرفة طرق جديدة . وليست الثدييات بافضل من ذلك .. بينما للتفكير عند الانسان اهمية بيولوجية كبرى حتى عندما تسود تفكيره العادة والمحاولة والخطا . ولا بد ان يكون سلوك الحيوانات مرميا - اي انه ثابت في حدود ضيقة - اما الانسان فقد أصبح في سلوكه حرا نسبيا .. حرا في الاخذ والعطاء على حد سواء .. ولهذا الزيادة في المرونة نتائج اخرى سيكولوجية يتناساها رجال الفلسفة العقلية .. والانسان أيضا لم يرد في بعضها . فقد ادت هذه المرونة مثلا الى كون الانسان الكائن الحي الوحيد ، الذي لا بد له ان يتعرض الى الصراع النفسي .. ومع ذلك فطبقا للآراء الحديثة توجد في الانسان اجهزة لتقليل النزاع الى اقصى حد ، وهي التي يعرفها علماء النفس بالكمبت والقمع .

« وهذه الخواص التي امتاز بها الانسان ، والتي يمكن تسميتها - نفسية - أكثر منها - بيولوجية - تنشأ من خاصية أو أكثر من الخواص الثلاث الآتية :

الاولى : قدرته على التفكير العام والخاص .

الثانية : التوحيد النسبي لعملياته العقلية ، بعكس انقسام العقل والسلوك عند الحيوان .

الثالثة : وجود الوحدات الاجتماعية مثل القبيلة والامة والحزب والجماعة الدينية وتمسك كل منها بتقاليدها وثقافتها . (ص 32)

« وهناك نتائج ثانوية كثيرة لتطور العقل من مرحلة ما قبل الانسان الى مرحلة الانسان (3) وهي بلاشك مريدة من الناحية البيولوجية . ولنذكر منها العلوم الرياضية والمواهب الموسيقية ، والتقدير والابداع الفنيين ، والدين ، والحب المثالي ..

« ولكن لا يكفي هنا ان نحصي بعض أوجه النشاط . ففي الحقيقة ان معظم أوجه النشاط الانساني وخواصه ، نتائج ثانوية لخواصه الاصلية . وكذلك لمهي مذة من الناحية البيولوجية .. وقد يكون لتفرد الانسان نتائج ثانوية اخرى لم تستغل بعد ..

« وبذلك يكون الانسان مريدا في احواله أكثر مما نظن الآن » انتهى كلام هسكلي .

واما العالم الامريكي : « ا . كريسي موريسون » فإنه يرد على نظرية (النشوء والارتقاء) ردا علميا ويستبعد بالكلية اي ارتباط بين الانسان وبين الحيوان كما انه يستنكر ان يقوم الانسان هكذا لوحده ابتداء من الخلية وعلى مبدأ الصدفة ولنقرأ ما كتب هذا العالم في كتابه (Man does not stand alone) الذي ترجمه الى العربية محمود صالح الفلكي بعنوان ( العلم يدعو الى الايمان ) :

« ان القائلين بنظرية التطور ( النشوء والارتقاء ) لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة ( الجينات ) ( ص 145 ) .

« لقد رأينا ان « الجينات » متلق على كونها تنظيمات اصغر من الميكروسكوبية للذرات في خلايا الوراثة بجميع الكائنات الحية . وهي تحفظ التصميم ، وسجل السلف ، والخواص التي لكل شيء هي . وهي تتحكم تفصيلا في الجذر والجذع والورق والزهر والثمر لكل نبات ، تماما كما تقرر الشكل والقشر والشعر والاجنحة لكل حيوان بما فيه الانسان » ( ص 147 ) .

... « ويلاحظ ان جميع الكائنات الحية ، منفصل بعضها عن بعض بهوات كثيفة لا يمكن عبورها . حتي ان الحيوانات المتقاربة يتفصل بعضها عن بعضها كذلك » .

« والانسان حيوان من رتبة الطليعة ، وتكوينه يشبه فصائل ( السيبيا ) - الاورنجتان والفوريلا

والشبهانزي - ولكن هذا الشبه الهيكلى ليس بالضرورة برهانا على اننا من نسل اسلاف سيمائية من القروء او ان تلك القروء هي ذرية منحطه للانسان . ولا يمكن احد ان يزعم ان سمك القد (Cod) قد تطور من سمك الحساس (Haddock) وان يكن كلاهما يسكن البياض نفسها ، وياكل الطعام نفسه . ولهما عظام تكاد تكون متشابهة ... ( ص 142 )

« ان ارتقاء الانسان الحيوانى الى درجة كائن مفكر شاعر بوجوده هو خطوة اعظم من ان تتم عن طريق التطور المادى . ودون قصد ابتدائى .

واذا قبلت واقعية القصد . فان الانسان بوصفه هذا قد يكون جهازا .. ولكن ما الذي يدير هذا الجهاز؟ . لانه بدون ان يدار . لا فائدة منه والعلم لا يعمل من يتولى ادارته . وكذلك لا يزعم انه مادى .

« لقد بلغنا من التقدم درجة تكفى لان نوقن بان الله قد منح الانسان قبسا من نوره . ولا يزال الانسان فى طور طفولته من وجهة الخلق . وقد بدأ يشمر بوجود ما يسميه ( بالروح ) وهو يرقى فى بطنه ليدرك هذه الهبة . ويشمر بغريزته بانها خالدة .

« واذا صح هذا التعليل - ويبدو ان المنطق الذي يسنده لا يمكن دحضه - فان هذه الكرة الارضية الصغيرة التي لنا . وربما غيرها كذلك : تكسب اهمية لم يحلم بها احد من قبل . فعلى قدر ما نعلم قد تولد من عالمنا الصغير هذا . اول جهاز مادى اضيف اليه من نور الله . وهذا يرفع الانسان من مرتبة الغريزة الحيوانية الى درجة القدرة على التفكير . التي يمكن بها الان ان يدرك عظمة الكون فى اشتباكاتة . ويشمر شمورا غامضا بعظمة الله مائلة فى خلقه . ( ص 187 - 188 )

« ان اية ذرة او جزيئة Atom, Molecule لم يكن لها فكر قط . واي اتحاد للعناصر لم يتولد منه راي ابدى . واي قانون طبيعى لم يستطع بنشاء كاتدرائية . ولكن كائنات حية معينة قد خلقت تبمسا لحوائز معينة للحياة هذه الكائنات تنتظم شيئا طبيعه جزيئات المادة بدورها . ونتيجة هذا وذاك كل ما نراه من عجائب العالم . فما هو هذا الكائن الحى ؟ .. هل هو عبارة عن ذرات وجزيئات ؟ اجل .. وماذا ايضا ؟ شيء غير ملموس . اعلى كثيرا من المادة لدرجة انه

يسيطر على كل شيء ومختلف جدا عن كل ما هو مادى مما صنع منه العالم ، لدرجة انه لا يمكن رؤيته ولا وزنه ولا قياسه . وهو فيما نعلم ليست له قوانين تحكمه . ان روح الانسان هي سيدة مصيره ، ولكنها تشمر بصلتها بالمصدر الاعلى لوجودها . وقد اوجدت للانسان قانونا للاخلاق لا يملكه اى حيوان آخر ، ولا يحتاج اليه . فاذا سمي احد ذلك الكيان بانه فضلة لتكوينات المادة ؛ لا لشيء سوى انه لا يعرف كتبه بانبوية الاختيار ، فهو انما يزعم زعما لا يقوم عليه برهان .. انه شيء موجود ، يظهر نفسه باعماله . وينفخحياته وبسيطرته على المادة ، وبالاخص بقدرته على رفع الانسان المادى من ضعف البشر وخطئهم الى الانسجام مع ارادة الله .. هذه هي خلاصة القصد الرياضى . وفيها تفسير للاشتياق الكامن فى نفس الانسان للاتصال باشياء اعلى من نفسه . وفيها كشف عن اساس حائزه الدينى .. وهذا هو الدين « .. ( ص 201 - 202 ) .

واما عالم الحياة ( الكسيس كاريل ) فانه يعتبر ان الانسان حدث فذ مميز وعالم فرد ليس له مثيل على ارضنا هذه ؛ كما يعتبر اننا لا نعلم شيئا عن هذا الانسان المجهول المعقد ، وذلك فى كتابه ( الانسان ذلك المجهول ) وقد عبره السيد شليق اسعد فريد .

ولنتقل الان بمضى هذه المعانى :

« هناك تفاوت عجيب بين علوم الجباد وعلوم الحياة .. فعلوم الفلك والميكانيكا والطبيعة ، تقوم على آراء يمكن التعبير عنها ، بسداد ومصاحة ، باللغة الحسابية وقد انشأت هذه العلوم عالما متناسقا كتناسق آثار اليونان القديمة . انها تنسج حول هذا العالم نسجا رائعا من الاحصاءات والنظريات .

« بيد ان موقف علوم الحياة يختلف عن ذلك كل الاختلاف . حتى ليبدو وكان الذين يدرسون الحياة قد ضلوا طريقهم فى غاب متشابك الاشجار ، او انهم فى قلب دغل سحري ؛ لا تكف اشجاره التي لا عداد لها عن تغيير اماكنها واحجامها فهم يزرعون تحت عسبه اكداس من الحقائق ؛ التي يستطيعون ان يصفوها ، ولكنهم يمجزون عن تعريفها او تحديدها فى معادلات جبرية . فمن الاشياء التي تراها العين فى عالم الماديات ، سواء كانت ذرات ام نجوما صخورا ام سحبا ، صلبا ام ماء .. يمكن استخلاص خواص معينة كالكتل والابعاد الانساعية .. وهذه المستخلصات - وليست

كيف تتحد جزيئات المواد الكيماوية لكي تكون المركب والاعضاء الموقفة للخلية ؟

كيف تقرر « الجينيس » - ناقلات الوراثة - في نواة البويضة الملقحة ، صلات الفرد المشتقة من هذه البويضة ؟؟ .

كيف تنتظم الخلايا في جماعت من تلقاء نفسها مثل الانسجة والاعضاء ؟ فهي كالنمل والنحل تعرف مقدما الدور الذي قدر لها ان تلعبه في حياة المجموع ، وتساعد العمليات الميكانيكية الخفية على بناء جسم بسيط ومعقد في الوقت ذاته .

« ما هي طبيعة تكويننا النفساني والسيولوجي ؟ اننا نعرف اننا مركب من الانسجة والاعضاء ، والسوائل والشعور . ولكن العلاقات بين الشعور والمخ ما زالت لغزا . اننا ما زلنا بحاجة الى معلومات كاملة تقريبا عن سيولوجية الخلايا العصبية .. التي اي مدى تؤثر الإرادة في الجسم ؟ كيف يتأثر العقل بحالة الاعضاء ؟ على اي وجه تستطيع الخصائص العضوية العقلية التي يرثها كل فرد ان تتغير بواسطة طريق الحياة والمواد الكيماوية الموجودة في الطعام والناخ ، والنظم النفسية والادبية ؟ .

« اننا ما زلنا بعيدين جدا عن معرفة ماهية العلاقات الموجودة بين الهيكل العظمي والمضلات والاعضاء . ووجوه النشاط العقلي والروحي .. وما زلنا نجعل العوامل التي تحدث التوازن العصبي ، ومقاومة التعب ، والكناخ ضد الامراض .

« اننا لا نعرف كيف يمكن ان يزداد الاهساس الادبي . وقوة الحكم ، والجرأة .. ولا ماهي الاهمية النسبية للنشاط العقلي والادبي .. كذلك النشاط الديني

« اي شكل من اشكال النشاط مسؤول عن تبادل الشعور او الخواطر ؟ ..

« لاشك مطلنا في ان عوامل سيولوجية وعقلية هي التي تقرر السعادة او التماسة ، النجاح او الفشل .. ولكننا لا نعرف ما هي هذه العوامل .. اننا لا نستطيع ان نهب اي فرد ذلك الاستعداد لقبول السعادة بطريقة سنامية .

« وحتى الآن فاننا لا نعرف اي البيئات اكثر صلاحية لانشاء الرجل المتبحر وتقدمه .

الحقائق العلمية - هي مادة التفكير العلمي .. ملاحظة الاشياء تدنا فقط بأقل صور العلم شأننا ، ونعنى بها الصورة الوصلية . فالعلم الوصفي يرتب الظواهر . بيد ان العلاقات التي لا تتغير بين الكميات غير القابلة للتغيير - اي القوانين الطبيعية - تظهر فقط عندما يصبح العلم أكثر معنوية . وما ذلك النجاح العظيم السريع الذي نراه في علمي الطبيعة والكيمياء الا لانهما علمان معنويان كميان . فعلى الرغم من انهما لا يدميان انهما يكشفان القناع عن الطبيعة النهائية للاشياء فانهما يبداننا بقوة التنبؤ بحوادث المستقبل . وتقرير كيفية وقوعها طبقا لارادتنا . وبتملنا سر تركيب المادة وخواصها استطعنا الظفر بالسيادة تقريبا على كل شيء موجود على ظهر البسيطة فيما عدا انفسنا ..

« ولكن علم الكائنات الحية بصفة عامة - والانسان بصفة خاصة - لم يصب مثل هذا التقدم .. انه لا يزال في المرحلة الوصلية .. فالانسان ككل لا يتجزأ . وفي غاية التعميد . ومن غير اليسور الحصول على مرض بسيط له . وليست هناك طريقة لفهمه في جموعه او في اجزائه ، في وقت واحد . كما لا توجد طريقة لهم علاقاته بالعالم الخارجي .

« ولكي نحلل انفسنا فاننا مضطرون الى الاستعانة بفنون مختلفة . والى استخدام علوم عديدة .. ومن الطبيعي ان تصل كل هذه العلوم الى رأي مختلف في غايتها المشتركة . فانها تستخلص من الانسان ما تمكنها وسائلها الخاصة من بلوغها فقط . وبمقد ان نضاف هذه المستخلصات بعضها الى بعض . فانها تبقى اقل غناء من الحقبة الصلبة .. انها تخلف وراءها بقية عظيمة الاهمية ، بحيث لا يمكن اهمالها

« .. اننا لا نفهم الانسان ككل .. اننا نعرفه على انه مكون من اجزاء مختلفة وحتى هذه الاجزاء ابتدعتها وسائلنا . فكل واحد منا مكون من مركب من الاشباح تسير في وسطها حقيقة مجهولة ..

« وواقع الامر ان جهلنا مطبق . فغالبا الاسئلة التي يلتقيها على انفسهم اولئك الذين يدرسون الجنس البشري تغزل بلا جواب : لان هناك مناطق غير محدودة من دنيانا الباطنية : ما زالت غير معروفة . ونحن لا نعرف حتى الآن ، الاجابة عن اسئلة كثيرة مثل :

« هل في الامكان كعبت روح الكناح والمجهود ، وما قد نحس به من عناء بسبب تكويننا الفسيولوجي والروحي ؟؟ »

« كيف نستطيع ان نحول دون تدهور الانسان وانحطاطه في المدنية المصرية ؟ »

وهناك اسئلة اخرى لا عداد لها ، يمكن ان تلقى في موضوعات تعتبر في غاية الاهمية بالنسبة لنا .. ولكنها ستظل جيبيا بلا جواب .. فمن الواضح ان جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسان ، غير كاف ، وان معرفتنا بانفسنا ما زالت بدائية في الغالب ... » ( ص 13 - 18 ) .

« ان معرفة نفوسنا لن تصل ابدا الى تلك المرتبة من البساطة المعبرة ، والتجرد والجمال ، التي بلغها علم المادة . اذ ليس من المحتمل ان تختصص العناصر التي اخرت تقدم علم الانسان .. فعملينا ان ندرك بوضوح ان علم الانسان « هو اصعب العلوم جيبيا » .

« ان الفردية جوهرية في الانسان . انها ليست مجرد جانب معين من الجسم اذ انها تنفذ الى كل كياننا .. وهي تجعل « الذات » حدثا مفيدا في تاريخ العالم .. انها تطبع الجسم والشمور . كما تطبع كل مركب في الكل بطابعها الخاص . وان ظلت غير منظورة .. » ( ص 281 ) انتهى كلام كاريل .

هذا نموذج مصغر من الرد العملي للنظرية القائلة بحيوانية الانسان ، واما من وجهة النظر السياسية فللنظرية فيها ميدان لا يستهان به الخصه فيما يلي :

ان حيوانية الانسان هذه - كما يزعمون - لها اصل اصيل في احد الكتب المقدسة لدى الطوائف اليهودية .. ولكنها حيوانية تختص فقط بالاميين غير اليهود ، فاليهودي هو الانسان فقط ، وهو من نسل ابيه آدم الذي خلقه الله بيده ، واما غير اليهودي فهو من اصل حيواني قد طوره الله الى شكل الانسان لكي يكون جديرا بخدمة شعب الله المختار ، هذا وقد اختلف الحاخامات حول اصل الاميين ( غير اليهود ) فقال بعضهم : من نطفة حصان .. وبعضهم قال من نطفة كلب وبعضهم وبعضهم .. ولكن ( دارون ) كان

اذكى واعلم بالحيوان فوجد ان القرد هو اقرب هيكل الى الانسان من غيرها من الحيوانات فانتشرت نظريته .

والتلمود يوحى لمن يقرأه بأنه كتاب الهيمنة المشمودة لدى اليهود على سائر الجنس البشري ، ولها كان هذا الامر شائنا وعسيرا ، اصبح لابد من اقتناع الاميين بنظرياته وتماليبه .. فكان ما قرره - ظنا - دارون من طريق استقراي ناقص نظرية البسها مسوح العلم ، واوهم بها العالم على انها يقينية لا ترد .

ولكن ما علاقة دارون باليهودية وما علاقته بحيوانية الانسان الاسمي التي جاءت في كتاب قديم جدا لليهود ؟؟

ان دارون كان على خط التلمودية الحديثة ( الصهيونية ) من حيث يدري او من حيث لا يدري ... والوثائق تشير كما اشارت الوثائق بأن دارون كان يسير بموجب ابحاثها .

وهذا ما قرناه في المقررات التي اخذتها الجمعيات الصهيونية العالمية في مؤتمر - بال - عام 1897 .

وقد جاء في البروتوكول الثاني لهذه المقررات ما يلي :

« ان الطبقات المتعلمة ستختال زهوا أمام نفسها بعلمها . وستأخذ جزأيا في مزاوله المعرفة التي حصلتها من العلم الذي قدمه اليها وكلاؤنا - رغبة في تربية عقولها حسب الاتجاه الذي توخيناها - .

« لا تتصوروا ان تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولاحظوا هنا ان نجاح دارون Darwin وباركس Marx ونيتشه Nietzsche قد رتبناه من قبل . والامر غير الاخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الاسمي ( غير اليهودي ) سيكون واضحا لنا على التأكيد « (4) .

ودارون لم يفعل شيئا سوى انه لمسلسل حيوانية الانسان التي وردت في التلمود في مواضع عديدة نجتزئها ببعضها في سطور :

« جاء في تلمود اورشليم ان النطفة التي خلقت منها بقية الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان ..

الواقع ، وقد رده العلم والعقل معا .. وعليه فهو غير جديد بان يكون اساسا لبحث ا ميزة البيان في شأن الانسان ، او غيره من الابحاث العلمية الجادة الهادفة.

ونتيجة لهذا البحث العلمي يتقرر معنا الاتي .. :

- 1 - الانسان مخلوق فذ .
- 2 - حادثة وجود الانسان على الارض حادثة فذة غير مكررة .
- 3 - الانسان متميز عن الحيوان نفسيا وجسديا .
- 4 - لا تماثل بين الانسان والحيوان والشبه العضوي او الهيكللي ليس دليلا على كون احدهما من الآخر .
- 5 - الفطرة ثابتة عند الانسان منذ كانت وان تغيرت صور الدواعي ليها .
- 6 - ويمتاز بـ ( التفكير التصوري )
- 7 - ولديه امكانيات اجتماعية واقتصادية وسياسية كائنة في فطرته منذ كان .

وهذا يعني ان الانسان وجد دون مقدمات ويتمتع بنفس الميزات التي لديه الآن - وان تغيرت وتطورت مظاهرها الخارجية وصورها - وميزة البيان من الميزات العديدة التي تميز الانسان عن الحيوان ... ولما كان هذا شأن الانسان امسح من الضروري ان يكون ناطقا مدركا اي مبينا ، منذ وجوده الاول لكي يعبر عن مكونات فطرته ويبين بواسطتها عن احساساته ومدركاته ، ويحقق بوجوبها غاية وجوده .

فيك نطق الانسان الاول فهذا ما سوف نحقق فيه الى جانب تثبيته ما نتج معنا في هذا الفصل . وذلك عند استنطاق التاريخ بما فيه من روايات مختلفة . في الفصل الثاني :

### المنظرة التاريخية :

لو هدنا الى اعماق التاريخ لنسأل عن الانسان وكيف كان ؟ . فسوف نجد فساتنا المنشودة .. وذلك بالرغم من تضارب الروايات واختلاف الاخبار .. الا اننا نلح من خلالها خطأ مريضا ينتظم الكل . مع بعض التفرعات . كما نلح واديا مبيحا تسير في شجبه فكرة واضحة عن نشأة الانسان .

« الامم الخارجة عن دين اليهود ليست كلابا لمقط بل حميرا أيضا . وقال الحاخام - ابار باتيل - : ان الشعب المختار هو الذي يستحق الحياة الابدية واما باقي الشعوب لمثلهم كمثل الحمير . ولا قرابة بين اليهود وبين الامم الخارجة من الدين اليهودي لانهم اشبه بالحمير ، وبيوت عبادة باقي الامم يعتبرها اليهود كزرائب الحيوانات وقال الحبر مناخم : ايها اليهود ، انكم من بني البشر لان ارواحكم مصدرها روح الله . واما باقي الامم فليست كذلك لان ارواحهم مصدرها الروح النجسة .

« وكان هذا رأي الحاخام - اربل - ايضا لانه كان يعتبر الخارجين من الدين اليهودي خنازير نجسة تسكن الغابات . فالخارج من دين اليهود حيوان على وجه عام . سمه كلبا او حمارا او خنزيرا .. والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان .

« وقال الحاخام - ابار باتيل - المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات وقد خلق الله الاجنبي على هيئة الانسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من اجلهم ، لانه لا يناسب الايسر ان يخدمه ليلا ونهارا حيوان على صورته الحيوانية كلا . لهذا هناك للفوق والانسانية .

« فاذا مات خادم يهودي او خادمة وكانا من المسيحيين فليست ملزما بان تقدم له التمازي باعتباره نطق انسانا ، بل باعتباره نطق حيوانا من الحيوانات المسفرة » (5) .

اذن لحيوانية الانسان التي نادى بها التطوريون هذا منطلقا .. ولا بد للصهيونية التلمودية التي تبغى السيطرة على العالم من ان تثبت هذا في افهام الناس بطريق سحري تقبله العقول الضعيفة وجباهيبر الناس لتنتقل بهذا المفهوم بكل حرية محطة تسيود القيم الثابتة والاخلاق السامية والرسالات القومية .. وتميش بالتالي كالحيوانات ، تاكل وتمتع بانواع السموات واللاذئذ بلا رقيب ولا حسيب . وعندما تصل هذه الحيوانات - بالتشبه - الى درجة الفوضى والضياع يسمل قيادها وتلين فتاتها لارباب الصهيونية وبعد ، فالزعم القائل بحيوانية الانسان وتطوره من الخلية الواحدة ، هو زعم فاسد ولا رصيد له من



عبادته ، فلم يزل مجتهدا في العبادة حتى خلق الله آدم ، فكان من أمره ومعصيته ربه ما كان « ( ص 88 ج 1 )  
وفي معرض القول عن خلق آدم عليه السلام :

« وكان مما حدث في أيام سلطانه وملكه ( يعني ابليس ) خلق الله — تعالى ذكره — ابانا آدم ابنا البشر ، وذلك لما اراد جل جلاله ان يطلق ملائكته على ما قد علم من انطواء ابليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة ، و اراد اظهار أمره لهم حين دنا أمره للهبوط وملكه وسلطانه للزوال ، فقال — عز ذكره — لما اراد ذلك للملائكة : ( اني جامل في الارض خليفة ) فاجابوه بان قالوا له : ( اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء — البقرة 30 ) فروي عن ابن عباس ان الملائكة قالت ذلك كذلك للذين قد كانوا عهدوا من امر الجن كانوا سكان الارض قبل ذلك ، فقالوا لمريم جل ثناؤه لما قال لهم : ( اني جامل في الارض خليفة ) اتجعل فيها من يكون فيها مثل الجن الذين كانوا فيها ؟ فكانوا يسفكون الدماء ويفسدون فيها ويمصونك ، ونحن نسبح بحمك ونقدس لك ، فقال الرب — تعالى ذكره — لهم : ( اني اعلم ما لا تعلمون ) يقول : اعلم ما لا تعلمون من انطواء ابليس على التكبر ، وهزمه على خلافه امري ، وتسويل نفسه له الباطل واغتراره وانا مبد لكم منه لتروا ذلك منه هيانا ..

« فلما اراد الله عز وجل ان يخلق آدم عليه السلام امر بتريته ان تؤخذ من الارض .. كما حدثنا ابو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن ابي زوق ، عن الضحاک ، عن ابن عباس ، قال : ثم امر — يعني الرب تبارك وتعالى — بترية آدم فرمعت ، فخلق الله آدم من طين لازب — واللازب اللزج الطيب — من حما مسنون ، منقن ، قال : واما كان حما مسنونا بعد التراب ، قال : فخلق منه آدم بيده » — ص 89 — 90 ج 1 —

« حدثنا ابن حميد قال : حدثنا يعقوب العمري عن جعفر بن ابي المغيرة عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعث رب العزة — عز وجل — ابليس ، فآخذ من اديم الارض ، من عذبا وملحها ، فخلق منه آدم ، ومن ثم سمي آدم ، لانه خلق من اديم الارض ، ومن ثم قال ابليس : ( اسجد لمن خلقت طينا — الاسراء 61 ) اي هذه الطينة انا جئت بها . » — ص 90 / 91 ج 1 —

فالاخبار التي تناقلها نسابو العرب في الجزيرة العربية وغيرها تشبه الى حد كبير ما نقله المؤرخون الفرس ، وهذه بالتالي قد تختلف كثيرا وخاصة في اصولها مما حكاه اهل التوراة ( في العهد القديم ) .. وهذه وتلك وهاتيك تكاد تكون مماثلة لاخبار الاسم السابقة التي ذكرها القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية .

ولقد استطاع المؤرخون العظام في ظل الدولة الاسلامية وفي قمة العصور الذهبية للفكر والتأليف ، امثال ابن الاثير وابن جرير الطبري وابن كثير وابن عساکر وابن خلکان وابن خلدون وغيرهم كثير ... ان يجمعوا الروايات المختلفة والاخبار المتضاربة عن تاريخ البشرية ونشأة الانسان تحتوا فيها تحقيقا علميا دقيقا ووضعوا بين ابدينا الراي الراجح والخط الواضح لنشأة الانسان .

وسوف نكتفي بتتبع بعض النصوص التاريخية المأخوذة من تاريخ واحد من اوثق التواريخ . من تاريخ الرسل والملوك (6) لمؤلفه ابي جعفر محمد بن جرير الطبري ( 224 — 310 هـ ) .. هذا التاريخ الذي بنى عليه وعلى امثاله مؤرخو اليوم كثيرا من مؤلفاتهم وتواريخهم وابحاثهم التاريخية .

قال ابن جرير في معرض كلامه عن استكبار ابليس في الارض وهلاكه :

« وقد قيل : ان سبب هلاكه ، كان من اجل ان الارض كان فيها قبل آدم الجن ، فبعث الله ابليس قاضيا يقضي بينهم ، فلم يزل يقضي بينهم بالحق الف سنة حتى سمي حكما ، وسماه الله به ، واوحى اليه اسمه ، فعند ذلك دخله الكبر ، فمناظم وتكبر ، والقي بين الذين كان الله بعثه اليهم حكما ، الباس والعداوة والبغضاء ، فانتقلوا عند ذلك في الارض التي سئنا فيها زعموا ، حتى ان خيولهم تخوف في دمائهم ، قالوا : وذلك قول الله تبارك وتعالى : ( انميينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد — سورة ق 15 ) وقول الملائكة : ( اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء — البقرة 30 ) فبعث الله تعالى عند ذلك نارا ماهرقتهم . قالوا : فلما رأى ابليس ما نزل بقومه من العذاب هرج الى السماء ، فاقام عند الملائكة يعبد الله في السماء مجتهدا ، لم يعبد شيئا من خلقه مثل

الصور وأفضل الصفات العقلية والجسدية التي تخوله القيام بمهام الخلافة في الأرض وعمارتها ، لذلك كان — منذ كان — بشرا سويا مدركا مفكرا ناطقا له عينان ينظر بهما وله أذنان يسمع بهما وله أنف يشم به وله لسان ينطق به وله يدان يبطش بهما ورجلان يمشي عليهما لاكتساب معيشته وتحقيق غاية وجوده .

ولكن هذه النصوص قد اعتمدت على النقل — غالبا — ولم تعالج الفكرة من وجهة عقلية . فهل عندنا من نص تاريخي يتكلم في عقلانية هذا الموضوع؟؟ لنرجع إذن . إلى العالم اللذ والمؤرخ الفيلسوف . واضح علم الاجتماع ، واستاذ من كتب فيه من بعده . إلى البحاثة المسلم ابن خلدون .. حيث يؤمن بما آمن به غيره من المؤرخين بأن الله هو الذي خلق آدم وأن آدم خلق كاملا ، وأودعت فيه فطرة معينة تميزه عن غيره من المخلوقات كما له صفات نفسانية لا يتمتع بها أي حيوان آخر ويتجلى ذلك بالتفكير والتصور الذين يتمتع بهما الإنسان .. كما تجعله هذه الفطرة اجتماعيا يالك الآخرين لينظم مجتمعه ويبيئه على ضوء هديها.

قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه : (7) .

« الفصل الأول من الكتاب الأول في العمران البشري على الجملة ونبهه مقدمات « الأولى في أن الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكباء عن هذا بقولهم : الإنسان مدني بالطبع ، أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم . وهو معنى العمران وبيانه ان الله سبحانه خلق الإنسان : وركبه على صورة لا يصح حياتها ويقاؤها الا بالغذاء . وهداه إلى التماسه بطهرته وبما ركبها فيه من القدرة على تحصيله ، الا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمسادة حياته منه ، ولو فرضنا منه اقل ما يمكن لمرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ ، وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواهب وآلات لا تتم الا بصناعات متعددة من حداد ونجار وماخوري . هب انه يأكله حبا من غير علاج فهو أيضا يحتاج في تحصيله حبا إلى اعمال أخرى أكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحبوب من غلاف السنبل . ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة ومصانع كثيرة أكثر من الأولى ويستحيل ان تؤمى بذلك كله او بعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه

« ونكر ان الله تعالى ذكره لما خبر طينته آدم تركها اربعين ليلة ، وقيل اربعين عاما جسدا ملقى »  
— ص 92 ج 1 —

« فلما نفخ فيه الروح اتته الروح من قبل راسه . فيما ذكر من السلف قبلنا انهم قالوه .. » — ص 94 ج 1 .

« ثم علم الله — عز وجل — آدم الاسماء كلها . واختلف السلف من اهل العلم قبلنا في الاسماء التي علمها آدم : اخاصا من الاسماء علم . ام عاما ؟ فقال بعضهم : علم اسم كل شيء .. » ص 96 ج 1 .

« حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابي ، عن سليمان بن خصيف ، عن مجاهد : ( وعلم آدم الاسماء كلها ) قال : علمه اسم كل شيء .. » ص 93 ج 1 .

« حدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا يزيد بن زريع . عن سعيد ، عن قتادة : قوله عز وجل : ( وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك انت المليم الحكيم ) قال : يا آدم انبئهم باسمائهم » : فانبا كل صنف من الخلق باسمه ، والجاه الى جنسه » . ( 98 )

« وقد قيل : ان الله جل جلاله قال ذلك للملائكة لانه جل جلاله لما ابتدا في خلق آدم قالوا فيما بينهم : ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق ، فلن يخلق خلقا الا كنا اعلم منه ، واكرم عليه منه ، فلما خلق آدم علمه السلام وعلمه اسماء كل شيء عرض الاشياء للنبي علم آدم اسماءها عليهم ، فقال لهم : انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في قولكم : ان الله لم يخلق خلقا الا كنتم اعلم منه ، واكرم عليه منه » ( ص 100 ج 1 )

هذه النصوص عينة بسيطة من النصوص التاريخية التي تكاد تتفق جميعها على خط واحد ، هو ان الله — جل ذكره — تلك القوة العظمى العاملة في هذا الكون فيما ندرك وفيما لا ندرك ، والتي لا يعمل شيء البتة بدونها ، كما لا تعمل نتيجة ما بدون مقدمات ، ولا معلول بدون حلة ، ولا بناء بدون بناء ، ولا مخلوق ينصف بالبداية والنهاية بدون خالق ينصف بالقدم والازلية .. اتول هو ان الله — جل ذكره — اراد ان يخلق .. فخلق .. فكان آدم ابو البشر باحسن

العدوان عنهم لانها موجودة لجميعهم ملابد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من فيهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم والهاماتهم يكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غيره بمعدوان وهذا هو معنى الملك ، وقد تبين لك بهذا انه خاصة للانسان طبيعة ولا بد لهم منها ، وقد يوجد في بعض الحيوانات المعجم - على ما ذكره الحكماء - كما في النحل والجراد ، لما استقرى فيها بن الحكم والانتباد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنها في خلقه وجناته ، الا ان ذلك موجود لغير الانسان بمقتضى الفطرة والهداية ، لا بمقتضى الفكرة والسياسة ، اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلي ، وانها خاصة طبيعية للانسان فيقررون هذا البرهان الى غايته ، وانه لا بد للبشر من الحكم الوازع ، ثم يقولون بعد ذلك ، وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله ياتي به واحد من البشر ، وانه لا بد ان يكون متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليتبع التسليم له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزيف ، وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تسراه ، ان الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه او بالمعصية التي يقتدر بها على تمهرم وحملهم على جادته ، فاهل الكتاب والمتبعون للانبياء قليلون بالنسبة الى الجوس الذين ليس لهم كتاب ، فانهم اكثر اهل العالم ، ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والاثار فضلا عن الحياة ، وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاتاليم المنخرمة في الشمال والجنوب ( ولكن هذه الدول وهذه الحياة ) بخلاف حياة البشر ( لهم في ) موسى ( و ) دون وازع لهم البتة ( ووجود الوازع لهم ) فانه يمتنع . وبهذا يتبين لك قاطعهم في ( انكار ) وجوب النبوات وانه ( رايهم ) ليس بعقلي . وانما ( وجوب النبوات ) مدركه الشرع كما هو مذهب السلف من الامة والله ولي التوفيق والهداية ( 8 ) .

### النظرة الواقعية :

البرهان الرياضي يعتمد على مسلمات .

والبرهان الطبيعي يعتمد على موجودات ( الظواهر الحسية ) .

ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم باضعاف ، وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا في الدفاع من نفسه الى الاستمانة ببناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطبع في الحيوانات كلها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات المعجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدرته الفرس مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدره الاسد واللبلب الضعاف من قدرته . ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بخدماته ما يصل اليه من عادية غيره . وجعل للانسان موضا من ذلك كله الفكر واليد ، مالم يد مهينة للصنائع بخدمة الفكر والصنائع تحصل له الآلات التي تنوب عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع مثل الرياح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النابتة من المخالب الجارحة والثراس النابتة عن البشرات الجاسية الى غير ذلك مما ذكره جالينوس في كتاب منافع الامضاء . فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات المعجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعته وحده بالجملة ، ولا تفى قدرته ايضا باستعمال الآلات المعدة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصنائع والمواهب المعدة لها ملابد في ذلك كله من التعاون عليه ببناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ، ولا تتم حياته لما ركبه الله تعالى عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويماجله الهلاك من مدى حياته ويبطل نوع البشر واذا كان التعاون حصل له القوة للغذاء والسلاح للمدافعة ، وتبت حكمة الله في بقائه وحفظ نومه فاذن الاجتماع ضروري للنوع الانساني والا لم يكمل وجودهم وما اراده الله من اعمار العالم بهم واستغلافه اياهم، وهذا هو معنى المبران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم ، وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع في نفسه الذي هو موضوع له . وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرر في الصناعة المنطقية انه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم . فليس ايضا من المنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بفضل . ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست آلة السلاح التي جعلت دمنه لعدوان الحيوان المعجم منهم كافية في دفع

جزئي .. بحيث لم يمكن دراستها من كتب لمي كالقطة في الفرة المظلمة . فلا يستطيع الدارس تحديده موضعها الا باستعمال النور واشعاع النور يتبعه خوف القطة وبالتالي تحركها عن موضعها ...

وكذلك اختلاف النظريات حول تاريخ الارض ونشاتها بين العلماء من ملكيين وجيولوجيين لكل واحد منهم نظرية غير نظرية تربيته . وكل نظرية من هذه النظريات هي مدرسة قائمة بذاتها . وقد برهن عليها قائلها برهانا لا يحتمل الشك واورد عليها ادلة وشواهد لا تجاوز العقل .. واذا اتنوع هذا العقل بالبرهان على النظرية الواحدة تعرض عليه . لسوف يشك اذا استعرضها جميعا على هذا الشكل غير المنطقي .. مثلا:

- 1 - اصل الارض كتلة ملتهبة انفصلت عن الشمس ..
- 2 - اصل الارض كتلة من كوكب ضخم انفجر في الفضاء ..
- 3 - اصل الارض تجمع غازات في الفضاء تجمدت فيما بعد .. وهكذا ..

اذن استطيع ان اعرف البرهان بانه عملية سحرية ، الغاية منها ارضاء الغرور البشري .. بحيث ان الانسان والمقل الواعي يبه بالذات لا يستطيع ان يدرك دنيا بلا حدود . ولا شيئا بلا بداية ونهاية . ولا ان يدرك امرا غير ملموس بحواسه فياتي البرهان العلمي لكي يشبع هذا الغرور المتجدد في كل لحظة نضع فيها قدمنا على باب جديد من ابواب الغيب والسر والكتان . التي تحيط بعالمنا العام والخاص من كل جانب . ملتصقين بجوانب البرهان الراحة .. ولكنهما راحة مؤقتة بحيث ما يثبت البرهان اليوم قد ينقده في الغد .

بالرغم مما تقدم ، كان لابد لي من ان اسير هذا المسار . فانتخذ لبحثي اميزة البيان في نشأة الانسان . مسلمات معينة مع اساس فكري معين ، انطلق منسه واتيم البراهين على ضوءه . بحيث ان لكل نظرية اساسا فكرية ( ايدولوجية ) معينة تقوم عليها .

وسوف لا يضير بحثي ان اسير به في ركاب علمائنا العظام الذين اثاروا للبشرية طريقها في الحضارة ، ووضعوا لها الاسس الثابتة لخطى العلوم . على الغالب - وهؤلاء المباشرة امثال : ابن

والبرهان التاريخي يعتمد على نظريات الفرضية الخفية ) ...

وغالب هذه الاسس استواها ما تبني عليها العلوم صرحها . تتارجح ذات اليمين وذات الشمال ، بين الظن واليقين ... بين الحتمية والاحتمال . وبين الواجب والامكان .

فالبرهان الهندسي الذي يقوم على اساس مسلمات اقليدس هو غير البرهان الذي يقوم على اساس مسلمات لوبتشمسكي ، الذي اعتبر المكان على شكل السطح الداخلي للاسطوانة ، تقول فرضيته : من نقطة خارجة من مستقيم يمكن رسم خطوط لا حصر لها موازية لهذا المستقيم . ونتيجة لهذه المسئلة اصبح مجموع زوايا المثلث اقل من قائمتين . ويمكن ان تصور ان الخطين المتوازيين قد لا يلتقيان ابدا على خلاف ما قاله اقليدس ، كما ان هذا وذاك غير البرهان الهندسي الذي يقوم على اساس مسلمات المالمس الالمانى ريمان . الذي فرض المكان كرويا ، تقول فرضيته : من نقطة خارجة من مستقيم لا يمكن رسم خط واحد مواز لهذا المستقيم ، وفي مثل هذا المكان يمكن ان تصور كل الخطوط متقاطعة لانها تكون شبيهة بخطوط الطول على الكرة الارضية ، تتلاقى وتتقاطع عند القطبين . ونتيجة لهذه المسئلة يصبح مجموع زوايا المثلث اكثر من قائمتين . ونحصل بالنتيجة على هذا التقرير المتناقض منطقييا الصحيح عمليا : مجموع زوايا المثلث تساوي قائمتين - اقليدس - مجموع زوايا المثلث اكثر من قائمتين - ريمان - مجموع زوايا المثلث اقل من قائمتين - لوبتشمسكي - .

كما ان البرهنة على مبدا التقيد والحتمية في الطبيعة ( هذا المبدا هو الايمان بوجود نظام ثابت عام تخضع له جميع الظواهر في الطبيعة ) لم تسلم من كونها قائمة على اساس الطريقة الاستقرائية ( وهي تعميم الحكم الصادر على بعض افراد الفئة على جميع الافراد في الفئة ... اي الانتقال من المعلوم الى المجهول . وهذا يناقض قواعد المنطق القائلة : - صدق الحكم الجزئي ليس دليلا على صدق الحكم الكلي - ) ولكن الذي دم هذه البرهنة هو العقل الذي لا يقبل بان تسود الطبيعة الفوضى ، دعها بالرغم من الوقائع المادية ، ايضا ، التي تثبت انفلات عالم الفرة من مبدا التقيد والحتمية ، وعدم امكانية تحديد وضع الكهارب وسرعتها في الوقت الحاضر . ( يقال ان تقيد السذرة

سينا . في الطب - وابن الهيثم في البصريات والضوء - والرازي وجابر الكوفي ؛ في الكيمياء - وابن فرناس في الفلك والطيران - والفارابي في النفس والجبر والإعداد - وابن رشد ، والفزالي . في الفلسفة والإشراق وما وراء الطبيعة .. وكثير غيرهم .. قد بنوا نظرياتهم العلمية على أساس النظرة الإسلامية العامة وانطلقوا منها ولم يتجاوزوا حدودها .

ولم يكن نهج هذا قائما على أساس التقليد الأعمى . بل هو اعتقاد عقلي وتمسك علمي للأسباب التالية :

(1) لا نستطيع ان نتصور هذا الانسان القديم باجهزته .. المعقد بتركيبه .. الهادف بفطرته .. الذي يتألف من مجموعة معالجات روحية ومادية .. دون منهج يضبط خطاه على الأرض دفعا للحيرة . ويحدد له معاني النور والإشراق في عالمه الخاص والعالم دفعا للضياع في ظلمات النفس وعمتها .

.. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا - الآية 48 المائدة .

فكان الدين هدية من الخالق الى المخلوق . وهداية له على درب التمر والاجبار .

(قال : ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى . الآية 50 طه .)

(2) وهذا الانسان بما يملك من الاحاسيس والمشاعر الراقية . وبما ركب فيه من الدوافع الفطرية المتباينة . مثل : دافعي : الحب والبغض - دافعي الخوف والغضب - دافعي التملك والجوع .. الخ . لا يمكن ان يسير هذا المركب المعجب بدون ناموس عام ثابت يعتد به . ومنهج تويم لا ينحصر ولا يتأرجح يفسر له العلاقات بين هذه الدوافع المتناقضة من جهة وبين المشاعر والاحاسيس من جهة اخرى ..

ا ونفس وما سواها . فآلهما نجورها وتقواها . قد افلح من زكاهما . وقد خاب من دساها .. ا سورة الشمس .

منهج فيه معنى السمو والكمال ، يسبح للبراهين العلمية ان تحوم حوله فتمسيه نارة وتخطوه اخرى حتى تصل الى الحقيقة .

( سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق - فصلت 53 ) .

(3) والاسلام الذي هو خاتم الديانات السماوية . واكملها تشريعا . واثبتها رواية ونقلها واقربها من انسان اليوم نزولا من السماء .. هذا الاسلام قد برهن على صحته واثبت صدقه وتفوقه وموضوعيته على طول التجربة التي عاشها خلال اربعة عشر قرنا . واذا كان هناك من يساري ، ويجادل في غير حق . ويسلك سبيل السفسطائيين في الجدل المقيم . فسوف لا يجد مناصا من الأذهان أو السكوت على جهود امام النصوص الإسلامية التي كشفت السر من المستقبل فتكلمت عنه بايجاز احيانا وباسهاب احيانا اخرى ، وكذلك النصوص التي جاءت تستشهد بالظواهر الكونية كدليل على عظمة الله ؛ لم تتجاوز هذه النصوص الحقائق العلمية المثبتة حتى عصرنا هذا ؛ والامثلة على ذلك وفيرة ويجدها كل من استقرأ النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الصحيحة وكان على جانب من الاطلاع والمعرفة وبعد النظر والانصاف .. وسأثبت بعضها هنا للاعجاز ..

#### ا - في الاشارات الفلكية والحقائق الكونية :

(1) الأرض تدور .. قال تعالى : ( وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء .. - النحل - )

(2) والكواكب والنجوم كلها تدور .. ا والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ؛ وكل في فلك يسبحون . - يس - .  
والنوين في ( كل ) موضعا عن الاضافة التي هي بمعنى كل ما في الفضاء .. وكلمة يسبحون تدل على مادة العوالم الاصلية ( الاثير ) التي يسبح بها كل شيء .

(3) العوالم منظومات من الكواكب المتجاذبة .. ا والسماء ذات الحيك - ومالها من مروج - وفي مطلع سورة الملك : .. الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ) .

14 المطر من الأرض وإلى الأرض .. ( .. والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها .. )

15 والمطر يهطل من السحاب المتراكم .. ( ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله - النور 43 - ) السودق : المطر .

16 والرياح هي التي تسوق الغيوم .. ( الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا . فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده . إذا هم يستبشرون - الروم 49 - )

17 والأرض بعدما تشكلت طبقاتها نهضت فيها سلاسل متعددة من الجبال لكي تتماكك تلك الطبقات فلا تنزلق وبالتالي لتتوازن الأرض وتستقر الحياة عليها ..

( والجبال أوتادا - والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون - الحجر - والتي في الأرض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون - النحل - ) . وفي الآيات الآتية يلاحظ الانسجام بين مفهومنا وبين مفهوم أحدث النظريات الجيولوجية حول بعض المراحل التكوينية التي مرت بها الأرض .. ( .. والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . مناها لكم ولانعامكم - النازعات - )

18 الطيران في الأجواء العالية يؤثر على جهاز التنفس وجهاز دوران الدم ، فيرفع الضغط ويعيق التنفس ، ويصحب ذلك امراض نفسية وجسدية اخرى .. ولننظر الى هذه السورة البليغة المعبرة عن الواقع .. ومن يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء .. - الانعام 125 - .

19 النفاذ من الجاذبية الأرضية الى الفضاء ، ثم من الفضاء القريب الى فضاء آخر هذا ممكن ولكن بشرط .. ( يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان .. - الرهمان - )

10 الخطوط المرسومة على البصمات تختلف من انسان الى آخر ، وقد لا تتفق بصمات لانساتين في العالم ، ولما اكتشفت هذه الخاصة استعملت كعلامة مميزة يبرهن بها الانسان على تقريراته وتوقعاته . والقرآن الكريم قد أشار الى هذه الخاصية في معرض القدرة والاعجاز فقال : ( .. احسب الانسان ان نجوع مظلما ، بلى ، قادرين على ان نسوي بناته .. - القيامة - ) .

ب - اخبار الله تعالى بانتصار الروم على فارس قبل تسع سنوات من الحادث :

الم . غلبت الروم في اذنى الأرض . وهم من بعد غلبهم سيفليون في بضع سنين . - روى ابن جرير - باسناده - عن عبد الله بن مسعود - قال : كانت فارس ظاهرة على الروم ، وكان المسلمون يحبون ان تظهر الروم على فارس ، لانهم اهل كتاب وهم اقرب الى دينهم . فلما نزلت : ( الم . غلبت الروم في اذنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفليون ، في بضع سنين ) . قالوا : ( اي المشركون ) : يا ابا بكر ان صاحبك يقول : ان الروم تظهر على فارس في بضع سنين . قال : صدق . قالوا - هل لك ان نقامر بك ( اي نراهنك - وجاء في خبر آخر ان ذلك كان قبل تحريم الرهان بوصفه من الميسر ) فبايعوه على اربع قلائص الى سبع سنين . مضت السبع ولم يكن شيء . فخرج المشركون بذلك ، فشق على المسلمين ، فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : ( ما بضع سنين عندكم ) : قالوا : دون العشر . قال ( اذهب فزادهم وازدد سنين في الاجل ) . قال فما مضت السنين ، حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس . فخرج المؤمنون بذلك ( ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ) - الظلال ج 21 ص 25 .

ج - اخبار الرسول الكريم عن العواذك التي ستكون بعد وفاته :

1) بشر محمد صلى الله عليه وسلم بان كنوز كسرى وتيصر ستنفق في سبيل الله .. ( عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد مات كسرى فلا كسرى بعده ، واذا هلك تيصر فلا تيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله . » - صحيح مسلم - كتاب الفتن - ج 8 ص 186 - .

وفي هذا إشارة الى السيادة التي استحققتها  
رأية الله على ملك كسرى وتيمصر .

12 لقد مرت فترة على المسلمين بعد استشهاد عمر  
رضي الله عنه مليئة بالفتن .. وقد أخبر عنها الرسول

( عن اسامة : ان النبي صلى الله عليه وسلم ،  
اشرف على اطم من اطم المدينة ثم قال : « هل  
ترون ما ارى ؟ .. اني لارى مواعع الفتن خلسلال  
بيوتكم كمواقع القطر » . - المرجع السابق 167 -

13 السبئية ثمة ضالة اظهرت الاسلام وابطنت الكفر  
ترجع نسبتها الى عبد الله بن سبا اليهودي .  
لقد عملت هذه الفئة بالبغى بين المسلمين ففرقت  
صفتهم واوقعت الحروب بينهم وكانت سببا في قتل  
الكثير من الصحابة الكرام ، وقد أخبر الرسول عن  
قتل بعضهم :

( عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » - المرجع  
السابق -

14 عثمان بن عفان رضي الله عنه من المبشرين بالجنة  
وباستشهاد . فقد ورد ان الرسول كان مع ابي بكر  
وعمر وعثمان على جبل احد . فاهتز الجبل  
فقال الرسول مخاطبا الجبل « اثبت احد ان عليك  
الانبي وصديق وشهيدان » . ومن  
الحديث الطويل المشهور الذي اخرجه البخاري  
ان ابا موسى الاشعري استاذن لعثمان على  
رسول الله ، فقال الرسول : « ائذن له وبشره  
بالجنة معها بلاء يمسيه » . - البخاري ج 9 ص 69 .

15 الحسن بن علي سبط رسول الله هو الذي اجهد  
على الفتنة وتبرها ومهد طريق الصلح بين المسلمين  
ولقد تنبأ الرسول بذلك والحسن ما زال صغيرا .  
قال ابو بكر : بينا النبي يخطب جاء الحسن فقال  
النبي صلى الله عليه وسلم : « ان ابني هذا سيد  
ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين .  
- المرجع السابق - .

16 لقد سادت شرمة الاسلام ترونا طويلة كانت  
خلالها تتراجع - كدولة - بين القوة والضعف ،  
وذلك بحسب الاناس الذين يمثلونها ، ويعتبر الغاء  
الخلافة الذي اعقبت اعلان الدستور في تركيا في عام

1908 على يد مصطفى اتاتورك والاتحاديين الاتراك  
آخر ضربة توجه الى الدولة الاسلامية ، حيث لم  
يتم لها قائم بعدها . اللهم الا ما قام بحدود ضيقة  
جدا وفي اطراف متباعدة خلال السنين القليلة التي  
نعيشها ... ولكن الغالب على الممالك الاسلامية  
هو ما انتشر من دعاوي الالحاد والمادية والوطنية  
والقومية منذ الغاء الخلافة وحتى عصرنا هذا .  
وفي الحديث الآتي تحليل رمزي مسبق ومقتضب  
لهذه الفترة من التاريخ :

( قال حذيفة بن اليمان : كان الناس يسألون  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت  
اسأله عن الشر مخافة ان يدركني ، فقلت : يا  
رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فاجأنا الله بهذا  
الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال نعم .  
قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم  
وبه دخن . قلت وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بخير  
هدى تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير  
من شر ؟ .. قال : نعم دهاة على ابواب جهنم من  
اجابهم اليها فذفوه فيها . قلت يا رسول الله صلهم  
لنا ، قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا ، قلت  
لما تأمرني ان ادركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة  
المسلمين وامامهم قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا  
امام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو ان  
تمض باسمل شجرة ، حتى يدركك الموت وانت على  
ذلك - البخاري - ج 9 ص 65 - ) .

د - اخبار الرسول الكريم عن الحوادث التي تسبق  
قيام الساعة :

1) عندما نكت اليهود مهودهم مع رسول الله في  
المدينة قاتلهم وشتمهم في البلاد ، ولم يكن لهم بعدها  
دولة . ولكنه أخبر عن تجمع سيكون لهم ، وقتال  
سيتم بين المسلمين وبينهم ، فهناك عدة روايات في  
الصحاح وغيرها ، كل رواية لها ميزة وتنفرد  
باشارة ، ولكنها تجتمع كلها على ما ذكرت ، فمن  
هذه الروايات :

( عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال : « تقاتلكم اليهود فتسلطون  
عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي  
ورائي ماتلته » . ) - صحيح مسلم ج 8 ص

188 - في هذا الحديث إشارة الى انهم هم المعتدون بالاشهاد الى تجمعهم حيث لا يقا تل قوم الا ولهم دولة ( وقد حدث ) .

ب) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يخشب اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي قتال ماقتله الا الغرقد فإنه من شجر اليهود . - المرجع السابق - اذا كان شجر الغرقد لا يزرع الا في فلسطين - كما قال لي تائل - ففي الحديث إشارة الى مكان تجمعهم ، ولعل هذا الشجر قد نسب اليهم لانهم اكثر الناس زراعة له في زمن معين وكان معين .. ولقد شاهدت هذا الشجر على جبال الخليل فهو شجر قصير القامة كثيف الاغصان والاوراق ، اغصانه على تماس مع الأرض مما يجعل له جيوبا تتسع للاختباء . ويحمل ثمرا صغيرا بقياس حبة الفول اليابسة . وهو قريب بالطعم من الخرنوب .

ج) ومن اعجب الاحاديث التي سمعتها - ولا اعلم مدى صحتها - هذا الحديث الذي يحدد مكان القتال بين اليهود والمسلمين :

« لتقاتلن اليهود على نهر يقال له الاردن انتم على شرفيه وهم على غريبه » .

واما الحديث عن الفئتين العظيمتين اللتين ستقتلان ويكون بينهما مقتلة عظيمة .. ومن كثرة الزلازل والشرط وتقارب الزمان .. فالحديث هنا طويل وابراد الشواهد عليها وتحليلها ضرب من المهال في هذا البحث بالذات .. وانما اثبت هنا حديثا نبويا ، عجبا ، يمدنا باليقين الذي لا تشوبه شائبة من صدق الاسلام وكون رسوله لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى .. هذا الحديث الذي وقعت اكثر لقراءته ولسنا وقوعها بايدينا وشاهدناه بأم أعيننا قد قرأته في كتاب ( محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار - لسيدني الشيخ محيي الدين بن عربي ) وهو من المطبوعات الاثرية بالخط الحجري في مكتبة استاذي الشيخ محمد أبي الفرج الخطيب .. هذا نصه :

1 وروينا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الحجة ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بقلعة باب الكعبة ثم اتبل بوجهه على الناس فقال يا معشر المسلمين ان من اشراط القيامة امانة الصلاة واتباع الشهوات وتكون امراء خونة ووزراء مسقة فوثسب سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال ، يا بني انتست وامي يا رسول الله ان هذا ليكون . قال نعم يا سلمان ، وعندها يكون المنكر معروفا والمعروف منكرا قال : ويكون ذلك . قال نعم يا سلمان ، وعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى ولا يستطيع ان يغيره . قال او يكون ذلك ؟ قال نعم يا سلمان . ويؤتمن الخائن ويخون الامين ويصدق الكاذب ويكذب الصادق ، قال او يكون ذلك قال : نعم يا سلمان ان اولسى الناس قوم المؤمن بينهم يمسي بالخائفة ان تكلم اكلوه وان سكت مات بغيظه . يا سلمان ما قدست امة لانتم من قوبها لضيفها ، قال : ان يكون ذلك ؟ قال نعم يا سلمان . عندها يكون المطر قيطا والولد غيطا وتليض اللثام غيضا وتغيب الكرام غيظا ، قال ويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان عندها يعظم رب المال ويباع الدين بالدنيا وتلتبس الدنيا بعمل الآخرة واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وتركب ذوات الفروج السروج فعلمهم من امتي لعنة الله ، يا سلمان عندها يلي امتي قوم جنتهم جنة الناس وقلوبهم قلوب الشياطين ان تكلموا قتلوه وان سكتوا استباحوهم لا يرحمون صغيرا ولا يوترون كبيرا لساء ما يزرون ونوطا حرمتهم ويحار في حكمهم عند ذلك تكون امارة النساء ومشاورة الاماء ونفوذ الصبيان على الناس وتكثر الشرط وتتحلى ذكور امتي بالذهب ويتهاون بالزنا وتظهر الثينات ويتغنى بكتاب الله وتكلم الروبيضة ، قلت يا بني انت يا رسول الله وامي ، وما الروبيضة ؟ قال : يتكلم في امر العامة من لم يتكلم قبل ، قال او يكون ذلك يا رسول الله . قال نعم يا سلمان ، عندها تزخرف المساجد كما تزخرف الكتائب والبيع وتحلى المصاحف بالذهب وتطول المنابر وتكثر الصفوف والقلوب متباغضة والالسن مختلفة ونوالهم لمة من اعطى على لسان من اعطى شكر ومن منع كفر قال او يكون ذلك قال نعم يا سلمان . عند ذلك ياتي سبانيا من المشرق والمغرب تكون من امتي لويل للضعفاء منهم وويل لهم من الله ان تكلموا قتلوا وان سكتوا قتلوا موت على طاعة الله خير من حياة على معصية الله ، قال ويكون ذلك ، قال نعم يا سلمان . عندها تشارك المرأة زوجها



ام أبي . وذلك ما اثبتته ايضا . اصحاب النظريات العلمية في السابق وفي الحاضر كأمثال العالم جيمس جينز - في الفلك - والعالم الدكتور اليكسس كاريل - في علم الحياة - والعالم انشتاين - في الذرة والفضاء - .. الخ وبهذا يتحقق قول الله تعالى :  
 اسئريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق .

وهذا يتبعه بالمقل كون الانسان لم يترك سدى . ولا بد له من مرشد ودليل في خضم هذه الحياة الزاخرة بالمتناقضات قال : فمن ريكما يا موسى ؟ قال : ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى .. طه - ا .

ولا بد هناك من خط عام وعميق في نفس الوقت لكي يسير عليه خليفة الله في ارضه .. فكان الكتاب ( او قل القرآن .. وهو لغة الضم والجع ) الذي خطه القلم على اللوح المحفوظ من عالم الازل والذي علمه الروح الامين رسول الله الى الانبياء والمرسلين جبريل عليه السلام ( فكان ينزل بأحكامه على الانبياء والرسل بحسب ما تحتاجه الامم والقبائل التي ينتمون اليها .

وفي خاتمة المطاف ضم القرآن وجميع كل هذا نسمى قرآنا . وثبت به كلمة الله ومنهاج الله القويم لهذا الانسان .. نجاه الخطاب للبشرية : اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ، والدليل على هذا من كتاب الله جل وعلا . ايضا :

« الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان »

هذه الآيات الرائعة ذات الوزن الموسيقي البديع تحمل اعنى المعاني . وادق التعبير .

انها مطلع الاعلان العام - سورة الرحمن - الموجه الى العالمين الانسي والجني . ومفتاح الخطاب في ساحة الوجود .

هذا الاعلان يذكر بالآلاء والنعم .. ويستجلب القلوب الى العراطف المستقيم .. ثم يهدد وينوعد الذين يميلون عنه بالاخذ الشديد والمداب الاليم . وهو بين كل لفظة واخرى يسأل على صيغة الاستفهام التقريرية : فبأي آلاء ريكما تكذبان ( مكررا ذلك احدى وثلاثين مرة .. ويرد الثقلان بالقول : ( ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ملك الحمد ) (9) .

في امره ويمق الرجل والده ويبر صدقه يلبسون جلود الضان على قلوب الذئاب مما لهم شر من الجيفة قال او يكون ذلك يا رسول الله قال نعم يا سلمان . عندها تكون عبادتهم فيها فيما بينهم التلاوة لها فيما ولا بد يسمون في ملكوت السموات والارض الانجاس الارجاس ، قال ويكون ذلك قال نعم يا سلمان . عند ذلك يتخذ كتاب الله مزامير وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم يعطلون الحدود ويبيتون سنتي ويحبسون البدعة ولا يقام يومئذ بنصر الله لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر عندها يفار على الغلام كما يفار على الجارية ويخطب كما تخطب النساء وبهيه كما تهيه المرأة . عندها تقارب الاسواق قلت بابي انت وامي يا رسول الله وما تقارب الاسواق . قال يقول لا ابيع ولا اشترى ولا رازق غير الله . يا سلمان عندها تلبسهم الجبابرة ويمنون حقوقهم ويملاون قلوبهم رهبا . فلا ترى الا خائفا مرعوبا عند ذلك يرفع الحج فلا حج . يحج كبار الناس للهوى واوساط الناس للتجارة وفقراء الناس للرياء والسبعة ، قال او يكون ذلك قال نعم يا سلمان . الحديث ، وسياتي معناه في هذا الكتاب مستوفى من حديث الكناني وقد انتهى المجلس من محاضرة الابرار .. - ص 39 - 40 الجزء الاول - ا .

وبعد ، فلا سبيل الى نكران الاسلام . والوارية عن سبيله المستقيم .. وخاصة بعد ان ثبت صحته . وتبين للقاصي والداني صدق نصوصه ومروياته .

لهذا كله جعلت الاسلام اساسا فكريا لبحث ( ميزة البيان في شأن الانسان ) والله ولي التوفيق .

### الانسان والبيان :

اذا آمنا ان الانسان مركب شديد التعقيد تسير كل خلية من خلاياه بنظام عجيب : واذا علمنا ان عالم الفلك يمج بالكواكب والنجوم : وانه يسير ايضا بنظام عجيب دقيق : واذا تارنا بين هذا الانسان المذهل التركيب ، وبين ذلك الكون بنظامه الدقيق . وحجمه الواسع الشاسع ، لو وجدنا ان الانسان مثله كما قال حافظ ابراهيم :

« وما انا الا ذرة قد حوتها ذرة في نساء ربي تدور »

اذن فالانسان لا يمكن ان يقوم بذاته ولا بد من يد خفية وقوة لا يراها ولا يدركها قد اوجدته تهرأ وسوف تخرجه من هذه الحياة تهرأ وهي تتحكم بصيره شاء